براءة السلف الصالح

مما نسب إليهم صاحب رسالة الهدي الواضح

بقلم

أبي عبدالله

أحمد بن محمود بن محمد المركاوي

مقدمة فضيلة الشيخ أحمد إمام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي سهَّل لنا طريقًا إلى معرفته بأسمائه الحسنى وصفاته العلى. وصلى الله على رسوله محمد وعلى آله وسلم أعلم من سمّى الله بأسمائه، ووصفه بصفاته، ومجّده بأفعاله.

وبعد: فإن أصل هذا الدين الثابت، وقاعدته الراسخة الإيمان بالله ﷻ، وعبادته وحده لا شريك له بما شرعه على لسان رسوله ﷺ، والحذر والتحذير من الشرك، وعبادة الله بالبدع والمحدثات. وذلك مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله. وهذا الأمر الذي خلق الله لأجله الموت والحياة.

روى الإمام المحدث عبدالله بن محمد بن عبيد أبو بكر ابن أبي الدنيا في كتابه الإخلاص[1] بسنده عن الإمام المحدث الورع أبي علي الفضيل بن عياض في قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ قال: " أخلصه وأصوبه. قال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص إذا كان لله. والصواب إذا كان على السّنة ".

ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف الله به نفسه في محكم كتابه، وبما وصفه به رسوله الكريم ﷺ في سنته المشرفة من غير تحريف ولا تعطيل، ومن

---

(١) الإخلاص ص ٤٠.

غير تكييف ولا تمثيل. وهو المعتقد الصحيح المنجي عند الله تبارك وتعالى الذي كان عليه رسول الله ﷺ، والسلف الصالح من الصحابة والتابعين، ومن تبعهم بإحسان، وهو الوسط بين ضلالتين: ضلالة التحريف، وضلالة التشبيه. كما قال شيخ الإمام البخاري نعيم بن حماد بن معاوية أبو عبدالله المروزي: "من شبّه الله بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر. وليس ما وصف الله تعالى به نفسه ولا رسوله ﷺ تشبيهًا".

وعلى هذا الحق الواضح، وعلى هذا اللاحب المستقيم يمشي أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان، لا يضرهم لومة لائم، ولا خذلان خاذل. ولا يبالون بحذلقة المتحذلقين، ولا جعجعة المتكلمين، ولا بشبهات هواة الشبهات. مستيقنين أن لهم حظًا من قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ بحسب تمسكهم بهذا الحق ودفاعهم عنه. فإنهم لما أحيوا سنة رسول الله ﷺ في هذا الباب وفي غيره، ورفعوا من شأنها جازاهم الله بمقتضى عملهم جزاء وفاقًا.

كما أن لأهل البدع والحدث في الدين نصيبًا من قول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾. فإنهم لما شنأوا بعض ما جاء به رسول الله ﷺ من هذا الباب، ومن غيره عاملهم الله بعدله، فأبترهم بقدر ذلك.

وقد قيل للإمام المقرئ المحدث أبي بكر بن عياش: إن هاهنا في المسجد أقوامًا يجلسون، فيجلس الناس إليهم. قال: " من جلس للناس جلس الناس إليه. ولكن أهل السنة يموتون ويبقى ذكرهم، وأهل البدعة يموتون ويموت ذكرهم ".

وهؤلاء المتكلمون لما استحلوا البحوث الكلامية على البحوث الحديثية، وقدّموا زبالة الأفكار البشرية على نقاوة السنة النبوية، وتنكّبوا عن الجادة، وأعنقوا في بنيات الطريق لم يصلوا إلى حقائق الإيمان، ولم تطمئن نفوسهم بتلك المحاصيل، فملكتهم الحيرة في آخر أعمارهم، واستولَتْ عليهم الندامة على ما ضيعوا من نفائس أعمارهم في تلك البحوث التافهة، وفي تلك البنيات التائهة.

قال العلّامة المتكلم فخر الدين الرازي في رسالته ذم لذات الدنيا[1]:

" وأما اللذات العقلية فلا سبيل إلى الوصول إليها، والقرب منها، والتعلق بها فلهذه الأسباب نقول: ليتنا بقينا على العدم الأول، وليتنا ما شاهدنا هذا العالَم! وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن! وفي هذا المعنى قلت:

نهاية إقدام العقول عقال ... وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة ... فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها ... رجال فزالوا والجبال جبال

واعلم أني بعد التوغّل في هذه المضايق، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيتُ الأصوبَ الأصلحَ في هذا الباب طريقة القرآن والفرقان الكريم، وهو ترك التعمّق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل. فاقرأ في التنزيه قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]؛

(١) ذم لذات الدنيا ص ٢٦٢.

وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] . واقرأ في الإثبات، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]؛ وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] ، وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ، واقرأ في أن الكل من الله قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] . وفي تنزيهه عما لا ينبغي قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] . وعلى هذا القانون، فقس ". انتهى كلامه.

وحدثني أحد علماء الهند الشيخ المحقق المشهور محمد عزير شمس في بيت الله الحرام بقصة ظريفة مؤثرة.

قال لي: " إن الشيخ محمدا أنور الكشميري بن معظم شاه الحنفي ت: ١٣٥٢ كان كبير علماء شبه القارة الهندية، وكانت له مؤلفات منتشرة، وطلاب منتشرة، يبالغ فيه طلابه، ويغلو فيه أتباعه حتى لقّبوه بـ حكيم الأمة. ولما طلع قرن الطائفة المارقة الكافرة القاديانية تعالت صيحات الغيورين على الدين من علماء الهند وباكستان لعقد اجتماع لاستصدار فتوى جماعية في شأن تلك الطائفة المارقة صنيعة الاستعمار البريطاني، واعتبارها طائفة كافرة لا تمت إلى الاسلام بأية صلة.

قال المفتي الشيخ محمد شفيع الباكستاني - وكان من أخص طلاب الشيخ محمد أنور: " صليت يومًا من الأيام في أثناء تلك الاجتماعات صلاة الفجر في مسجد ناءٍ مع الشيخ وقد تقدم به العمر وسلخ العقود الأخيرة من عمره، فأطال الجلوس في مجلسه بعد صلاة الفجر على غير العادة، فأتيته وجلست إلى جنبه فرأيته قد سيطرت عليه الهموم، وتَمَلَّكَتْهُ

الغموم، وعلاه الكرب، وظهرت عليه ملامح الكآبة فقلت له: ما لك أيها الشيخ؟ فقال كئيبًا متألما: " **لقد ضيعت عمري** "!! فقلت له - واندهشت من صدور مثل هذا القول من مثله -: رويدك أيها الشيخ، فقد آتاك الله علمًا غزيرًا، فألفت المؤلفات النافعة، وانتشرت في الشرق والغرب، وسارت بها الركبان، وعلّمت أممًا، وخرّجت أجيالًا من الطلاب، أصبحوا بدورًا للعلم، وأقمارًا للهداية، يعرفك القاصي والدّاني بالعلم والحكمة، ويعرف قدرك العالم والعامي.

قال المفتي محمد شفيع: فقال لي الشيخ: اسكت! كنا نكتب ما نكتب على غير إنصاف، وكنا نقبل ونرد تأييدًا لقول على قول فحسب، وتلميعًا لشخص على شخص، ولا يعبأ الله بشيء من ذلك ".

ولا ينقضي عجبي من رمي صاحب وريقات الهدي غيره بالجهالة. ما مقياس الجهل والعلم عنده وعند أذنابه؟ آلجري وراء شيخ التعطيل الجعد بن درهم، واللهث وراء السيء الذكر الجهم بن صفوان، وتحريف أسماء الله وصفاته تحت جنة التأويل يعتبر العلم؟ وأي علم عند صاحب تلك الوريقات؟.

وإثبات ما أثبته الله في محكم كتابه، وما أثبته رسول الله ﷺ في سنته المطهرة على الوجه اللائق بالله ﷻ يعتبر الجهل وأي جهل. نعوذ بالله من تلاعب أبي مرة، وغرور النفس، وانتكاس الفهم.

وها هنا ثلاثة أشياء: الإثبات، والتحريف، والتشبيه، ذهب السلف وأتباعهم في كل زمان ومكان بالإثبات، فاختصم أنت وأتباع داود الجواربي في الباقي.

ثم إن طلبة العلم من أهل السنة في هذه البلاد لا يستصعبون الردود على الشبهات الهزيلة التي تلتقط من هاهنا ومن هاهنا وإنهم لبالمرصاد. ويرجون الله ﷻ متضرعين إليه أن يستعملهم في طاعته، ويجعلهم غرسًا في هذا الدين، ويكتبهم في جملة الذّادين عن حياضه المنافحين عن نقاوته، وأن يوفقهم الإخلاص فيما يقولون ويفعلون، وليكن في خلد صاحب الوريقات: الهدي الواضح أنه جاء إلى هذه الدنيا ومذهب أهل السنة ظاهر، وسيخرج من هذه الدنيا ومذهب أهل السنة ظاهر متحملًا على ظهره وزر من أضله من المسلمين عن مذهب أهل السنة والجماعة. وليأخذ العبرة من هذه القصة. وقد رخص لنا رسول الله ﷺ الحديث عن بني إسرائيل.

قال جلال الدين السيوطي ﷺ في كتابه: كتاب المحاضرات والمحاورات[1]: " وأخرج - يعني الإمام أحمد في كتاب الزهد - عن خالد بن ثابت الربعي، قال: بلغني أنه كان في بني إسرائيل رجل قد قرأ الكتاب وأنه قد طلب بعلمه الشرف والمال في الدنيا، وأنه ابتدع بدعًا، وأنه لبث كذلك حتى بلغ سنًا، وأنه بينما هو نائم على فراشه إذ تفكر في نفسه فقال: هب هؤلاء الناس لا يعلمون ما ابتدعت، أليس الله قد علم ما ابتدعت وقد اقترب الأجل، فلو أني تبت، فبلغ من اجتهاده في التوبة أن عمد فخرق ترقوته، وجعل فيها سلسلة، ثم أوثقها إلى آسية من أواسي المسجد، قال: لا أبرح مكاني هذا حتى تنزل فيَّ توبة أو موت، فأوحى الله في شأنه إلى نبي من أنبيائهم، أنك لو كنت أصبت ذنبًا بيني وبينك لتبت عليك بالغًا ما بلغ، ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فماتوا فأدخلتهم

(١) كتاب المحاضرات والمحاورات ص ١٠٤.

جهنم، فلا أتوب عليك ".

وأخيرًا: فدونك أيها المسلم الباحث عن الحق هذه الرسالة القيِّمة: **"براءة السلف الصالح مما نسب إليهم صاحب الرسالة الهدي الواضح"** تزدد علمًا إلى علمك، ويقينًا إلى يقينك.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أحمد حاج محمد عثمان أحمد إمام

في مدينة مقديشو. مكتبة مسجد أبي هريرة

يوم الخميس ٩ من جمادى الأولى ١٤٣٤

مقدمة الطبعة الثانية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلَّم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وبعد: فهذه مقدمة الطبعة الثانية من رسالة: **براءة السلف الصالح مما نسب إليهم صاحب رسالة الهدي الواضح** أقدمها للقرّاء بعد سنوات عديدة.

وامتازت هذه الطبعة من سابقتها بعدة أمور:

منها: مقدمة كتبها الشيخ أحمد حاج محمد (أحمد إمام)، تحمل فوائد جمّة.

ومنها: تعديلات وضعتُها على الطبعة الأولى حاملة التصحيحات في أخطاء مطبعية، وأخرى كلَّ فيها قلمي الأول، والعجز من طبيعة البشر.

ومنها: إجابات على اعتراضات وردت من قِبَل المردود عليه وناصريه.

ومنها: نقولات وبيانات أضفتها من جديد إلى الرسالة رأيتها تتمةً لأختها.

ومنها مسائل لم تُذكر في الطبعة الأولى أحببت ذكرها في الثانية للفائدة.

هذا وإني أحمد الله تعالى أولًا وآخِرًا على ما أنعم وأولى وأسدى. ولا أنسى أن أشكر جزيل شكري على ما قدّم لي الشيخ أحمد إمام من نصائح،

وتوجيهات ونظر في الرسالة، وإعداد مقدمة ذات فوائد، كما أنني أقدِّم تقدير الشكر على كلٍّ من ساعدني في إصدار هذه الرسالة بهذه الطبعة الجديدة.

والحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على النبي محمد وآله وأصحابه الكرام

وسطَّره:

أحمد بن محمود بن محمد

في مقدشو حرسها الله تعالى

في ١٣ من جمادى الأولى ١٤٣٤

مقدمة الطبعة الأولى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي وصف نفسه بصفات مفصلة لائقة به، ونفى عن نفسه التمثيل والنقائص على وجه الإجمال قائلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

الحمد لله الذي هو كما وصف نفسه، ووصفه رسوله ﷺ، أعلم الخلق بالله تعالى ونفى عن نفسه كل ما يصفه المخلوق إلا بما جاء به المرسلون عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

فنزّه نفسه عما يَصِفُهُ به المخلوق، وسلّم على المرسلين لسلامة ما قالوه.

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له المتصف بالصفات الحميدة العالي على خلقه، الذي عرّفنا نفسه بهذه الصفات الجليلة والنعوت العظيمة.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله - ﷺ - أعلم الناس بربه وأنصحهم للخلق المقول في شأنه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

فالأبتر من شنئه وشنأ دينه وعقيدته، ومن قدم زبالة عقله، وفكره على ما جاء به هذا النبي الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وطوبى لمن أطاعه في كل صغيرة وكبيرة، واقتفى أثره ولا شك أن الله يرفع شأو من قدّم طاعته على كل شيء.

وصلى الله وسلّم على هذا النبي الكريم صلاة وسلاما تنجيان عن الخذلان يوم تسود وجوه أهل الاحداث والبدع .

أما بعد: فلا يخفى على من تأمل التاريخ أن العقيدة الإسلامية مرت على مراحل وقد حاز النبي ﷺ وأصحابه على الحق المبين، ومن لزم غرزهم كان على الهدي المستقيم، كما قال ﷺ في حديث الافتراق: «**مَا أَنَا عَلَيهِ ٱليَومَ وَأَصْحَابِي**» «**هِيَ الَّتِي تَكوُنُ مِثْلَ مَا أَنَا عَلَيهِ الْيَومَ وَأَصْحَابِي**».

ولو نظرت إلى ميدان العقيدة في تلك الفترة الخيّرة المشرقة لرأيت أن مأخذهم في العقيدة وغيرها من الكتاب والسنة، ولأنه لم يعرف في زمنهم الكلام، ولا يقال: إنّ علم الكلام بمنزلة أصول الفقه في الفقه إذ علم أصول الفقه غير معاب عند أحد ممن تقدم من أئمة الهدى، أما علم الكلام فقد عابه السلف إبّان ظهوره.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " وقال أبو المظفر السمعاني رحمه الله: تعقب بعض أهل الكلام قول من قال: إن السلف من الصحابة والتابعين لم يعتنوا بدلائل العقل في التوحيد، بأنهم لم يشتغلوا بالتعريفات في أحكام الحوادث، وقد قبل الفقهاء ذلك واستحسنوه، فدوّنوه في كتبهم، فكذلك علم الكلام، ويمتاز علم الكلام بأنه يتضمن الردّ على الملحدين وأهل الأهواء، وبه تزول الشبهة عن أهل الزيغ، ويثبت اليقين لأهل الحق وقد علم الكل أن الكتاب لم تُعْلَم حقيّته والنبي ﷺ لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقل.

وأجاب: أما أولا فإن الشارع والسلف الصالح نهوا عن الابتداع، وأمروا بالاتباع، وصحّ عن السلف أنهم نهوا عن علم الكلام وعدّوه ذريعة للشرك والارتياب وأما الفروع فلم يثبت عن أحد منهم النهي عنها إلا من ترك النصّ الصحيح وقدّم عليه القياس وأما من اتبع النصّ وقاس عليه فلا يحفظ عن أحد من أئمة السلف إنكار ذلك لأن الحوادث في المعاملات لا تنقضي وبالناس حاجة إلى معرفة الحكم فمن ثَم تواردوا على استحباب الاشتغال بذلك بخلاف علم الكلام "[١].

وهاك نصوص الأئمة في ذم الكلام الذي حدث بعد الصحابة.

قال الإمام مالك رحمه الله في ذم الكلام وأهله: "إياكم والبدع فقيل: يا أبا عبدالله وما البدع؟ قال: أهل الأهواء الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان[٢].

وقال يونس بن عبدالأعلى: "أتيت الشافعي رحمه الله بعد ما كلمه حفص الفرد، فقال: غبت عنا يا أبا موسى. ثم قال الشافعي رحمه الله: لقد اطّلعت من أهل الكلام على شيء والله ما توهمته قط، ولأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير له من أن يبتلى بالكلام[٣].

وروى الإمام عبدالرحمن بن أبي حاتم في كتابه آداب الشافعي

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني ١٣/ ٣٦٤.
(٢) الحجة في بيان المحجة ١/ ١١٤.
(٣) رواه أبو القاسم اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة، وابن بطة في الإبانة ١/ ٥٠، وأبو القاسم التيمي في الحجة في بيان المحجة ١/ ١١٥.

ومناقبه[١]: "حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت الشافعي وكلّمه رجل في المسجد الجامع فطالت مناظرته إياه، فخرج الرجل إلى شيء من الكلام فقال له: دع هذا، فإن هذا من الكلام ".

وروى أيضًا بسنده إلى أبي ثور - تلميذ الشافعي - قال: سمعت الشافعي يقول: ما تردى أحد بالكلام فأفلح".

وروى الإمام الحافظ الخطيب البغدادي في كتابه شرف أصحاب الحديث عن الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ أيضا أنه قال: حُكْمِي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويقال: هذا جزاء من أعرض عن الكتاب والسنة وأقبل على علم الكلام.

وقال أبو يوسف رَحِمَهُ اللَّهُ: " من طلب الدين بالكلام تزندق ".

وقال الإمام الخطابي في كتابه الغنية عن الكلام وأهله: " واعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام وهذا النوع من النظر عجزا عنه ولا انقطاعا دونه، وقد كانوا ذوي عقول وافرة وأفهام ثاقبة، وكان في زمانهم هذه الشبه والآراء، وهذه النحل والأهواء، وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوّفوه من فتنتها وحذروه من سوء مغبتها وقد كانوا على بينة من أمرهم، وعلى بصيرة من دينهم؛ لما هداهم الله به من توفيقه وشرح به صدورهم من نور معرفته، ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته، وتوفيق السنة وبيانها غنى ومندوحة عما سواها ".

---

(١) آداب الشافعي ومناقبه ص ١٤٢ ط. دار الكتب العلمية.

وقد تكلم العلماء عما جرى بين جهم والسمنية فلاسفة الهند، وأن هذا كان مبدأ أمر الجهمية كما في خلق أفعال العباد[١].

ومبدأ الانحراف عن العقيدة الصحيحة خصوصًا في الأسماء والصفات بدأت لبنته الأولى من الجعد بن درهم وأخذها عن أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم وأخذها طالوت من لبيد بن الأعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي ﷺ[٢].

فكما يظهر من هذه السلسلة إنها سلسلة يهودية خبيثة لا يرجى وراءها أي خير. ثم حدثت بعد الجهمية المعتزلة، ثم الكلابية والأشعرية إلى أن جاء الكوثري وأصحابه فافتروا على العلماء، وطعن الكوثريُ زهاء ثلاث مئة من أئمة أهل الحديث، منهم صاحب رسول الله ﷺ أنس بن مالك والإمام مالك والشافعي وأحمد والثوري والبخاري وغيرهم، ثم أخذ الراية الحسن بن عليّ السقّاف الذي زاد الطين بلة. وقد نجى الله أهل هذا القطر عن انحراف الكوثري ومدرسته برهة من الزمن، فجاء من ليس عنده كبير حظ من العقيدة الصحيحة من أهل هذه البلاد ففتّش كتب الكوثري والسقّاف وتضلع من زبالة أفكارهما فنضح بما شرب منهما فجمع رسالة سماها بـ الهديُ الواضح في الذب عن معتقد السلف الصالح. وهي في الحقيقة هدم للعقيدة السلفية، وتعتبر رسالته هذه سرقة من بضاعة السقّاف، فأحببت أن أفند شبهاته بتعليقات لطيفة، وقد وجدت في رسالته أمورا منكرة تتعارض مع منهج

---

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص ١١. (١٤) ط. مكتبة التراث الإسلامي.
(٢) الحموية الكبرى ص ٢٤٥ ط. دار العصيمي. والبداية والنهاية ٩/ ٣٥٠، ١٠/ ١٩ ط. مكتبة المعارف بيروت.

البحث العلمي والأمانة العلمية:

منها: بتر كلام العلماء، كما تصرف فيما نقل عن الإمام مالك من سير أعلام النبلاء فبتر تعليق الإمام الذهبي في تحقيق المنقول عن الإمام مالك. وستراه في موضعه إن شاء الله.

ومنها: أنه لا يخرّج الروايات ولا يحقق النقل عند أهل النقد من الأئمة، وهذا إن دل على شيء فإنّما يدل على تمويهه وإيهامه للقراء ومثله يقال: " لقد استسمنت ذا ورم ".

ومنها: أنه يصور قولا صحيحا باقيًا على أصله الموضوع في اللغة يصوره أنه مؤوّل تجوّز عن أصله كما تصرّف جهلًا أو تجاهلًا في قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ حيث قال: قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: تركوا الله فتركهم، فعدّ هذا من التأويل والمجاز. وسترى كل هذا مبيّنًا في موضعه إن شاء الله تعالى.

ومن بلايا رسالته أنه يتناقض. وهذا يلازم كل مبتدع، فأول من يناقض قاعدته المؤسَّسة على الفساد هو نفسه، وستطلع على ذلك بعون الله تعالى.

ومنها: أنه يطعن العلماء ويلزمهم في أمور لا تلزمهم. وقد سميت هذه الرسالة: بـ (براءة السلف الصالح مما نسب إليهم صاحب رسالة الهدي الواضح).

وهذا أوان دحض شبهه التافهة.

قال في مقدمته:

" تنزه عن الأنداد والأركان والآلات لا يحويه مكان "

قلت: بدأ رسالته بأن نزّه الله تعالى عن أمور لم يرد في الكتاب ولا في السنة إثباتها ولا نفيها.

تنبيه: لست غافلا عن ورود نفي الند في القرآن، لكن لا يسعفه إيرادها وحدها مع تعداده النفي المفصل الخالي عن الإثبات، والحكم للغلبة والكثرة، فلا تُخْرِجه عن تلك الورطة هذه الكلمة الواحدة التي حشد معها النفي الذي لم يرد في الأصلين.

والحق أن يقتبس ويتبع الكتاب والسنة خصوصا فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته، وطريقة القرآن والسنة النفي المجمل والإثبات المفصل. قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. فأجمل النفي وفصّل الإثبات كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الاخلاص: ٤]. وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]. واعلم أنك لا تجد في القرآن نفيا مفصلا إلا وهو يبين إثباتا كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. فمن كمال قيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، أما أن نصف الله تعالى بالنفي المحض مثل أن نقول: ليس بكذا ولا بكذا ولا يمين ولا شمال لا فوق ولا تحت لا أمام ولا خلف، لا داخل العالم ولا خارجه، لا كل ولا بعض، لا جوهر ولا عرض إلى آخر ما يسفسط به المتكلمون فليس من الثناء الجميل الذي يستحقه الله تعالى، بل الثناء الجميل أن يكون الإثبات مفصلا

والنفي مجملا، كما هي طريقة الوحي. فكما أننا لا نصف الله تعالى بصفة إلا بعد ورودها في الوحي فكذلك التنزيه.

أما صاحب هذه الرسالة فقد سلك منهجا غير منهج الوحي، فحاد عن طريق الرسل، وأهل الحق من الصحابة والتابعين وتابعيهم، إذ لم يأت الطريق من بابه، فدخل في الجوهر والعرض والأركان وغير ذلك، في حين أن الصحابة والتابعين لم يعرفوا ربهم بهذه الطريقة المبتدعة المخترعة.

قال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله: " إنه إذا نظر إلى إسلام أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ وسعد وسعيد وعبدالرحمن وسائر المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم وجميع الوفود الذين دخلوا في دين الله أفواجا، علم أن الله لم يعرفه واحد منهم إلا بتصديق النبيين وأعلام النبوة، ودلائل الرسالة لا من قبل حركة ولا سكون، ولا من باب الكل والبعض، ولا من باب كان ويكون ولو كان في الحركة والسكون عليهم واجبا، وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما ما أضاعوه، ولو أضاعوه ما نطق القرآن بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من علمهم مشهورا، ومن أخلاقهم معروفا لاستفاض عنهم، واشتهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات "[1].

وقال الإمام أبو القاسم التيمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة: أخبرنا أبو المظفر السمعاني رحمه الله: " وأما أهل السنة سلمهم الله فإنهم يتمسكون بما نطق به الكتاب، ووردت به السنة، ويحتجون بالحجج الواضحة، والدلائل الصحيحة على حسب ما أذن فيه الشرع، وورد به السمع،

(١) التمهيد ٧/ ١٥٢ ط. وزارة الأوقاف المغربية ت. مصطفى العلوي ومحمد البكري.

ولا يدخلون بآرائهم في صفات الله تعالى، ولا في غيرها من أمور الدين، وعلى هذا وجدوا سلفهم وأئمتهم، وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ [الأحزاب: ٤٥ - ٤٦]. وقال أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: ٦٧]. وكان فيما أنزل إليه، وأمر بتبليغه أمر التوحيد، وبيانه بطريقه فلم يترك النبي ﷺ شيئا من أمور الدين وقواعده وأصوله وشرائعه إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه، ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لو أخر لكان قد كلفهم ما لا سبيل لهم إليه، وإذا كان الأمر على ما قلنا، وقد علمنا أن النبي ﷺ لم يدعهم في هذه الأمور إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر وذكر ماهيتهما، ولا يمكن لأحد من الناس أن يروي في ذلك عنه، ولا عن أحد من الصحابة من هذا النمط حرفا واحدا فما فوقه، لا في طريق تواتر ولا آحاد، فعلمنا أنهم ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء، وسلكوا غير طريقهم، وأن هذا طريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ﷺ ولا أصحابه رضي الله عنهم، وسلوكه يعود عليهم بالطعن والقدح ونسبتهم إلى قلة العلم في الدين، واشتباه الطريق عليهم. فإياك رحمك الله أن تشتغل بكلامهم، ولا تغتر بكثرة مقالاتهم فإنها سريعة التهافت، كثيرة التناقض، وما من كلام تسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه أو يقاربها " انتهى كلامه[1].

أبو المظفر السمعاني من علماء الشافعية وشيخهم في خراسان توفي سنة ٤٨٩ هـ.

---

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/ ١٤٦ ط. دار الراية.

وعلى هذا وضع شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ قدمه فقال في جواب له: " فيقال له - يعني المعترض -: الكلام في وصف الله بالجسم نفيا وإثباتا بدعة لم يقل أحد من سلف الأمة وأئمتها: إن الله ليس بجسم كما لم يقولوا: إن الله جسم "[1].

ولا يوجد في مؤلفاته كالعقيدة الواسطية حرفا واحدا في الجهة والجسم وما إلى ذلك.

وقال: " وأما قولهم: الذي نطلب منه أن يعتقده أن ينفي الجهة عن الله والتحيز، قال: فالجواب من وجوه:

أحدها: أنّ هذا اللفظ ومعناه الذي أرادوه ليس هو في شيء من كتب الله المنزلة من عنده، ولا هو مأثورا عن أحد من أنبياء الله ورسله، لا خاتم المرسلين ولا غيره، ولا هو أيضا محفوظا عن سلف الأمة وأئمتها أصلا، وإن الله بين لهذه الأمة ما تتقيه كما قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]. وإنّ النبي ﷺ بيّن للأمة الإيمان الذي أمرهم الله به، وكذلك سلف الأمة وأئمتها، علم بمجموع هذين الأمرين أن هذا الكلام ليس من دين الله، ولا من الإيمان، ولا من سبيل المؤمنين، ولا من طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإذا كان كذلك فمن ألزم اعتقاده فقد جعله من الإيمان والدين، وذلك تبديل للدين كما بدل من بدل من مبتدعة اليهود والنصارى ومبتدعة هذه الأمة دين المرسلين يوضح ذلك.

---

(١) التسعينية ٣/ ٧٤٥.

الوجه الثاني: أنّ الله نزّه نفسه في كتابه عن النقائص تارة بنفيها، وتارة بإثبات أضدادها كقوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الاخلاص: ٣ - ٤]. وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الاسراء: ١١١] وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١] إلى آخر ما ذكر من النصوص في إثبات صفات الله تعالى ونفي أضدادها من النقائص. . . . . إلى أن قال: وليس في شيء من ذلك نفي الجهة والتحيز عن الله، ولا وصفه بما يستلزم لزوما بيّنا نفي ذلك، فكيف يصح مع كمال الدين وتمامه، ومع كون الرسول قد بلغ البلاغ المبين أن يكون هذا من الدين والإيمان، ثم لا يذكره الله ورسوله قط؟ وكيف يجوز أن يدعى الناس ويؤمروا باعتقاد في أصول الدين ليس له أصل عن من جاء بالدين. هل هذا إلا صريح تبديل الدين" انتهى كلامه[1].

وأعتذر للقراء في الإطالة، والغرض منها الذب عن شيخ الإسلام وإثبات أن منهجه في تقرير العقيدة هو الأخذ بالنصوص واتباع الطريقة السلفية، ولم يحدث ألفاظا من عند نفسه لم ترد في النصوص كالجهة والحيز وما إلى ذلك.

والسؤال المطروح هو: من أين نقل صاحب هذه الرسالة هذا النفي الذي لم يرد فيه وحي؟

فأقول: نقل ذلك عن مصدرين أساسيين عنده، وهما كتب البيجوري،

---

(١) التسعينية ٣/ ٧٤٥ ط. مكتبة المعارف.

وتصوره في ذهنه أن إثبات الصفات الواردة عن الله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ تشبيه، فشبّه أولًا، وعطّل ثانيًا، واخترع ألفاظا من عند نفسه.

قال البيجوري في صدد شرحه الصفات السلبية: " والمخالفة لما ذكر عبارة عن سلب الجرمية والعرضية والكلية والجزئية ولوازمها عنه تعالى فلازم الجرمية التحيز. . . . "[1].

قلت: هل هذا إلا ابتعاد عن الألفاظ الشرعية، وسفسطة في العقليات، وقارن أيها الطالب للحق بين العقائد السبعة وبين العقيدة الواسطية لترى الحقيقة.

تنبيه: قد يقول قائل في نفسه: إن هذا الإنسان أخذ النفي المفصل من الطحاوي في عقيدته حيث قال فيها: **"وتعالى عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات لا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات"**

فيقال في ذلك: إن النفي المفصل المذكور في الطحاوية معتمد على إثبات مفصّل، والنفي إذا فُصِّل معتمدا على إثبات قبله، لا محظور فيه، وقد يرد ذلك في القرآن كما في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ فمن كمال قيوميته أنه لا ينام، ولا تأخذه سنة ولا نوم. فالنفي المحض الصريح الذي لم يتقدمه إثبات هو محور كلامنا. فعلى ذلك فالطحاوية في واد، وهذا الكاتب خائض في واد آخر.

ومن هنا أودّ أن أشير إلى تناقض صاحب الرسالة حيث قال في ص (٢):

---

(١) تحفة المريد للبيجوري ص ٣٦ ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده في مصر.

" والذي دعاني إلى كتابة هذه السطور ما ظهر في هذه البلاد من خوض المبتدعة الجهلة في صفات الله تعالى والنسبة إليه تعالى ما لم يأذن به في كتاب سماوي ولا سنة نبوية مثل الجهة والعلو الحسي. . . . ".

قلت: ولماذا نفيت أمورًا لم يرد نفيها، لا عن كتاب سماوي ولا عن سنة نبوية صحيحة؟ ثم إن من ترميه بأنهم وصفوا الله بالعلو الحسي ما تنقم منهم إلا أنهم أثبتوا لله تعالى العلو المطلق، وقيّدته بالشرف والقهر والقدرة من غير دليل شرعي، في حين أن الله تعالى وصف نفسه بالعلو المطلق قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].. وقال: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]. فقد وقعت أيها المتناقض فيما تتهم به غيرك حيث نفيت مالم يأت نفيه التفصيلي لا في كتاب ولا في سنة، ثم رميت الداء على غيرك. وهل هذا إلا من باب رمتني بدائها وانسلّت؟.

قال: "قد كان ولا مكان وهو الآن على ما كان عليه قبل خلق المكان".

قلت: هذه الجملة القصيرة فيها من البلايا ما الله به عليم، وأسلط الضوء على نقطتين فقط:

الأولى: أنه قال: " **وهو الآن على ما كان عليه** " وهذا منتزع من حديث باطل وضعه المتكلمون من الجهمية وغيرهم. وقد بيّن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأقرّ على ذلك الحافظ ابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ اللَّهُ، قال الحافظ في فتح الباري تحت كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].:

"تنبيه: وقع في بعض الكتب في هذا الحديث «كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيهِ كَانَ» وهي زيادة ليست في شيء من كتب الحديث، نبّه على ذلك العلامة تقي الدين ابن تيمية وهو مسلَّمٌ في قوله: " **وهو الآن إلى** آخره".

والأمر الثاني أن يقال: إن في كلامه أنه ليس فوق العرش إله لأنه قال: " **وهو الآن على ما كان عليه** " فهذه الجملة تنص على أن الله لم يستو على عرشه بعد أن خلق السموات والأرض، وهذا جحد لما قرّره الله تعالى في كتابه حيث قال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] و[يونس: ٢]. وهذه عقيدة الجهمية.

روى البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه خلق أفعال العباد[1]: " وقال ضمرة بن ربيعة عن صدقة سمعت سليمان التيمي يقول: لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء فإن قال: فأين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم.

قال أبو عبدالله - أي البخاري - وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. يعني بما بيّن.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في خلق أفعال العباد[2]: وقال حماد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: "القرآن كلام الله نزل به جبرائيل، ما يجادلون إلا أنه ليس في السماء إلٰه".

قال في ص (٢): وهو يذكر سبب كتابة الرسالة " **والذي دعاني إلى**

---

(١) خلق أفعال العباد ص (١٨) ط مكتبة التراث الإسلامي باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة (٤٩).

(٢) خلق أفعال العباد ص (٩).

كتابة هذه السطور ما ظهر في هذه البلاد من خوض المبتدعة الجهلة في صفات الله تعالى والنسبة إليه تعالى ما لم يأذن به في كتاب سماوي ولا سنة نبوية مثل الجهة والعلو الحسي والمنع من التأويل إذا كان لا يتماشى مع معتقداتهم الفاسدة وفتح بابه إذا كان يوافق مشاربهم الكدرة فهم يحلّونه عاما ويحرّمونه عاما ".

أقول: الردّ عليه من وجوه:

الأول: لم يثبت لفظ الجهة أحد من أئمة السنة وأهل الدين الذين اقتفوا آثار السلف من أهل الحديث، وكما أن إثباتها لم يرد فيه نص صحيح، فكذلك فليكن نفيها، لكن أبى صاحب الرسالة ذلك فناقض نفسه فيما قال في أول رسالته ص (١) حيث نفى الآلات والأركان وغيرها عن الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]. وقد تقدم هذا الأمر فيما مضى، وإذا كان يرى هذا الرجل أن وصف الله تعالى بالعلو المطلق بلا تكييف وصفٌ له بالجهة فهذا من سوء فهمه أو افتراءاته التي لا يحصيها إلا الله تعالى، وهذا الأمر كثيرًا ما تزعمه الجهمية وأذنابهم، حيث يجعلون إثبات صفات الله تعالى تشبيهًا، أو تجسيمًا، ويرمون أهل الإثبات بالتشبيه والتجسيم لوصفهم الله بأنه فوق العرش بائن من خلقه.

فاسمع ما قاله الإمام الحافظ الترمذي رحمه الله في هذا الباب واصفا الطريقة السلفية في أمر الصفات: "وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن

بها ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ هكذا روي عن مالك بن أنس، وسفيان ابن عيينة، وعبدالله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ها هنا القوّة. وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد أو سمع كسمع، أو مثل سمع فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع فهذا التشبيه. وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول: كيف؟ ولا يقول: مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. انتهى كلامه .«**سنن الترمذي: كتاب الزكاة: باب ما جاء في فضل الصدقة**».

ويؤخذ من هذا أن إثبات الصفة على وجه الإطلاق كما وردت لا يعدّ تشبيها، وكذلك إلزام أهل السنة بما لا يلزمهم في هذا الباب من بضاعة الجهمية.

الوجه الثاني: قوله المنع من التأويل إذا كان لا يتماشى مع معتقداتهم الفاسدة وفتح بابه. . . .

أقول: إن أمر التأويل سيأتي في بابه إن شاء الله تعالى إلّا أني أشير إليه في هذا المقام إشارة عابرة تليق بالمقام. التأويل منه صحيح، ومنه فاسد، وكذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مؤلفاته كالرسالة المدنِيَّة

وكرسالة ضابط التأويل، وكذلك مناظرته مع المخالفين بالعقيدة الواسطية أشار فيها إلى أنه قال في تلك العقيدة: " من غير تحريف " قال: "استعملت التحريف دون التأويل، لأن التأويل لفظ له عدّة معان، وقال: فإذا ما قامت الحجة على صحته، وهو منقول عن السلف فليس من التحريف "[1].

ونحن نفتح باب التأويل إذا صحَّ عن الصحابة والتابعين وتابعيهم لأن التأويل لا يكون عندئذ إلّا حقًا، ونحن مأمورون باتباع ما أجمعوا عليه. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥]. وما تركوا تأويله نكف عن تأويله. ونحن نلزم هذا الخصم الذي يستدل بتأويلات السلف على صحة تأويلات الخلف نلزمه على قبول تأويلات الباطنية في نصوص المعاد، فإن قال: هذا التأويل من الباطنية غير سائغ، ولكن تأويل الصفات سائغ يقع فيما يرميه بغيره من تحليله عامًا، وتحريمه عامًا، وإن قال: يسوغ الكلّ، فعلى زندقة وأحلاهما مر. والكلام في التأويل سيأتي في موضعه إن شاء الله تعالى.

ونختم الكلام في هذه الفقرة بأننا نؤوّل ما أجمع السلف على تأويله، ونكف عمّا كف السلف عن تأويله، لأننا نعلم أن تأويل السلف لا يكون إلا صحيحا ولا يعود إلى النص بالتعطيل والتحريف، وليسعنا ما وسعهم، وتأويل السلف ينبغي أن يثبت بالأسانيد الصحيحة لا بالادعاءات ولا بالأسانيد المظلمة.

---

(١) مجموعة الفتاوى ٢/١٠٩ ط. مكتبة العبيكان.

ثم قال في ص: ٢ " **فأحببت أن أذكر عقيدة أهل السنة والجماعة من الأشاعرة والماتريدية ومن اقتفى آثارهم المغبوطة** ".

أقول: الأشعرية ليسوا من أهل السنة والجماعة على المعنى الخاص. والبرهان على ذلك ما في بطون الكتب التي سنذكرها لكن أقدم قبلها مقدمة، وهي أن الأشعرية هم أتباع أبي الحسن الأشعري في مرحلته الوسطى التي رجع عنها كما في الإبانة وكل من دافع عن أبي الحسن الأشعري من أهل السنة دافع عنه بالعقيدة التي سطرها بيمينه في كتابه الإبانة كابن عساكر رحمه الله تعالى في كتابه تبيين كذب المفتري وقد حققه كوثريهم.

وقال ابن كثير: "ذكروا للشيخ أبي الحسن الأشعري ثلاثة أحوال:

أولها: حال الاعتزال التي رجع عنها لا محالة.

والحال الثاني: إثبات الصفات العقلية السبعة وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام، وتأويل الخبرية كالوجه واليدين والقدم والساق ونحو ذلك

والحال الثالث: إثبات ذلك كله من غير تكييف ولا تشبيه جريا على منوال السلف، وهي طريقته في الإبانة التي صنفها آخرًا " انتهى «**طبقات الفقهاء الشافعيين تحت ترجمة أبي الحسن الأشعري**».

فإذا عقلت هذا فاعلم أنني أعني بالأشعرية أتباع أبي الحسن في مرحلته الوسطى، وأتباع البيجوري واللقاني وسائر أصحاب العقائد السبعة، وكذلك أعني بهم أتباع ما أسسه الرازي إمامهم الثاني في كتابه أساس التقديس الذي فيه القانون العام الكلي والمفزع إليه عند الأشاعرة.

جريا على ذلك، أقول: إن الأشاعرة ليسوا من أهل السنة والجماعة؛ والبرهان على ذلك:

أولًا: مأخذهم في الأسماء والصفات غالبه العقل لا النقل، والدليل على ذلك أن الفخر الرازي إمامهم قال في أساس التقديس في الفصل الثاني والثلاثين في أن البراهين العقلية إذا صارت معارضة بالظواهر النقلية فكيف يكون الحال فيها:

" اعلم أن الدلائل القطعية العقلية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك فهناك لا يخلوا الحال من أحد أمور أربعة:

(١) إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل فيلزم تصديق النقيضين، وهو محال.

(٢) وإما أن يبطل فيلزم تكذيب النقيضين، وهو محال.

(٣) وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل، لأنه لا يمكننا أن نعرف صحّة الظواهر النقلية إلا إذا عرفنا بالدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته، وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول، وظهور المعجزات على محمد ﷺ، ولو جوزنا بالقدح في الدلائل القطعية صار العقل متهما غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم يثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل يفضي إلى القدح في العقل والنقل معا، وإنه باطل. ولما بطلت الأقسام لم يبق إلا:

(٤) أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال: إنها غير صحيحة، أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها، ثم إن جوّزنا التأويل اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوّضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات وبالله التوفيق ".

أقول: فها هو قانونهم، وهو ينص على أن العقل مقدَّم على الوحي، فأين السنة والجماعة ها هي قد قُدِّم العقل عليها، فسنتهم العقل العليل، وجماعتهم الآراء الكاسدة.

وقال الباجوري فيما شرحه على جوهرة التوحيد المسمى بـ تحفة المريد[1] عند شرحه:

وَوَاجِبٌ إِيْمَانُنَا بِالْقَدَرِ وَبِالْقَضَاءِ كَمَا أَتَى فِي الْخَبَرِ

قال: "وإنما عوّلوا على الدليل السمعي هنا؛ لأنه أسهل للعامة وإلا فقد علمت مما مرّ أن القضاء والقدر يرجعان للصفات التي عوّلوا فيها على **الدليل العقلي ".**

قلت: هذا البيجوري إمام هذا الكاتب في الدِّين يشرح إحدى العقائد السبعة التي يصيح صاحب هذه الرسالة بالذَّبِّ عنها وهو ينص على أن مرجع الصفات إلى العقل، فأين السنة أيها الإنسان؟.

---

(١) الباجوري فيما شرحه على جوهرة التوحيد المسمى بـ تحفة المريد ص: ٧١ ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

والأشعرية خالفوا أهل السنة والجماعة في مسائل كثيرة.

منها: إيجابهم النظر (مقدمات وضعوها) أولا، وأنه أول واجب على العبد، ولا يصح إيمان العامي إلا عابرا على تلك المقدمات المشككة، فهل هذا من السنة في شيء؟ ومن شاء الوقوف على سوء عاقبة هذه المقدمات فليطالع على فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر تحت حديث معاذ «**حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ**» وكذا راجع المفهم لما أشكل في تلخيص شرح مسلم لأبي العباس القرطبي تحت شرح حديث «**أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَىَ اللهِ الأَلَدُّ الْخَصِم**»، واقرأ ما ذكره أبو المظفر السمعاني فيما نقل عنه أبو القاسم التيمي في كتابه الحجة في بيان المحجة[1].

وخالفت الأشعرية أهل السنة والجماعة في مسألة القرآن والقدر والإيمان حيث لم يوجبوا على الكافر إذا أراد أن يسلم أن ينطق بـ (لا إلٰه إلا الله) لأن النطق عندهم ليس من أركان الإيمان. تحقيقا لما قلت راجع تحفة المريد للبيجوري في هذه الأبواب كلها.

وهاك أقوال الأئمة والعلماء في الأشاعرة:

قال أبو العباس بن سريج شيخ الشافعية المتوفى سنة ٣٠٦ هـ والذي يقول عنه علماء الشافعية: إنه مجدد المائة الثالثة أو الرابعة، قال في عقيدته التي سأل عنها أبو القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني: لا نقول بتأويل المعتزلة والأشعرية والجهمية والمجسمة والمشبهة والكرامية والكيفية بل نقبلها بها بلا تأويل، ونؤمن بها بلا تمثيل، ونقول: الإيمان بها واجب،

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/١١٨.

والقول بها سنة وابتغاء تأويلها بدعة " «إجتماع الجيوش الإسلامية للإمام ابن قيم الجوزية ١٧٣ - ١٧٤».

فرّق الإمام العلامة قوام السنة أبو القاسم التيمي في كتابه الحجة في بيان المحجة بين أهل السنة والجماعة والأشعرية في كثير من المسائل العقدية كالعلو وغيرها[1].

وهذا شيخ الشافعية في اليمن يحيى بن أبي الخير العمراني صاحب كتاب البيان في مذهب الشافعي وهو الذي ينقل عنه النووي رحمه الله كثيرًا في المجموع ويشير إلى كتابه البيان قال: " إذا تقرر ما ذكرنا أن القرآن عند أصحاب الحديث هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على نبيه محمد ﷺ وهو القرآن العربي السور والآيات المتلو باللسان، والمسموع بالآذان، المعقول بالأذهان، المحفوظ في الصدور، المكتوب بالمصاحف بالسطور، له أول وآخر وبعض، فمن قال بخلقه فهو كافر، كفرا يخرجه من الملة، لما تقدم ذكره في الفصل قبل هذا، وقد وافقَنا الأشعرية على أن القرآن غير مخلوق ومن قال بخلقه فهو كافر، وردّوا على قول المعتزلة والقدرية: إنه مخلوق إلا أن الأشعرية قالوا: كلام الله الحقيقي هو معنى قائم في نفسه لا يفارقه لا يدخل كلامه النظم والتأليف والتعاقب، ولا يكون بحرف وصوت، ولا يتكلم الله بالعربية، ولا بغيرها من اللغات، وليس له أول ولا آخر ولا بعض بل هو شيء واحد لم ينزله الله على نبينا محمد ﷺ، ولا على أحد من الأنبياء، ولا يتلى، ولا يكتب، ولم يسمعه أحد إلا موسى عليه السلام، وهذه السور والآيات عبارة وحكاية عن كلام الله وتسمى قرآنا، وكذلك التوراة

(١) الحجة في بيان المحجة ٢/ ١١٢ ط. دار الرّاية.

عبارة عن كلام الله بلغة موسى عليه السلام وقومه، والإنجيل عبارة عن كلام الله بلغة عيسى عليه السلام وقومه، فادّعوا أن كلام الله غير مخلوق، وأن القرآن غير كلام الله، فقولهم: إن القرآن غير مخلوق تلاعب وخلف من الكلام "[١] اهـ.

قال الباجوري في رسالته تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد[٢]: "واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة: ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى وإطلاقه عليهما بالإشتراك وقيل: حقيقي في النفسي مجاز في اللفظي".

قلت: فالباجوري جعل في كتابه العقيدة الكفرية عقيدة أهل السنة والجماعة. فياهول المصيبة ويا هول الكارثة والفضيحة. وها أنت ترى أن أئمة المذهب الشافعي يفرّقون بين أصحاب الحديث والأشعرية.

وقال الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني رحمه الله: " يقال للأشعري إذا قرأ آية من القرآن: هذا قول الله أم قول البشر؟ فإن قال: هو قول الله فقد رجع إلى ما عليه السلف وأهل الحق، وإن قال: بل هو قول البشر قلنا عن ذلك بأجوبة " [٣].

الشاهد من كلام الإمام أنه ميز بين الأشعرية وأهل الحق.

وقال رحمه الله: " والأشعرية قدموا رِجْلًا إلى الاعتزال، ووضعوها حيث

---

(١) الانتصار ٢/ ٥٥٤ ط. دار أضواء السلف.
(٢) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٤٥.
(٣) الانتصار ٢/ ٥٦٤.

وضعت المعتزلة أرجلهم وأمّوا بالرِجل الأخرى إلى حيث وضع أهل الحديث أرجلهم " [١] .

وقال أيضا رحمه الله: " قد ذكرنا في أول الكتاب أن عند أصحاب الحديث والسنة أن الله سبحانه بذاته بائن عن خلقه، على العرش استوى، فوق السموات، غير مماس له، وعلمه محيط بالأشياء كلها.

وقالت الكرامية: إنه مماس للعرش، وقالت المعتزلة: إن ذات الله بكل مكان حتى بالحشوش وأجواف الحيوان، قيل لبشر المريسي: فهو في جوف حمارك هذا؟ قال: نعم. وهذا قول الحلولية، وهو كفر صريح لا إشكال فيه. وقالت الأشعرية: لا يجوز وصفه بأنه على العرش ولا في السماء "[٢].

والشاهد أنه أدخل الأشعرية في الفرق الضالة.

وقال أيضا رحمه الله: " وأقوال الأشعرية مثبَتة على أصول المعتزلة لأن أبا الحسن كان معتزليا " [٣].

وقال الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله المتوفي سنة ٤٦٣ هـ: " وقال أبو عبدالله محمد بن أحمد بن إسحاق المعروف بابن خويز في كتاب الشهادات في كتابه الخلاف في تأويل قول مالك: " لا تجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء قال: أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان أو غير أشعري " "جامع بيان العلم وفضله: باب ما تكره فيه المناظرة والجدال والمراء».

---

(١) الانتصار ٢/ ٥٩٥.
(٢) الانتصار ٢/ ٦٠٧.
(٣) الانتصار ٢/ ٦٤٨.

تنبيه: اعلم أن من وافق الأشعرية في بعض المسائل لا يقال: إنه أشعري بمجرد الموافقة مالم يتبنّ أصولهم، وأضرب لذلك مثالا وهو أن مجاهدًا بن جبر الإمام المفسر فسّر قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. قال: تنتظر ثواب ربها. وهذا تفسير المعتزلة بناء على إنكارهم الرؤية، وهذا التفسير جاء عن مجاهد بسند صحيح كما قاله الحافظ في فتح الباري[1].

وقد ردّ ابن عبدالبر على هذا التفسير من مجاهد رحمه الله في التمهيد تحت أحاديث ابن شهاب الزهري عند شرحه لحديث النزول، ومع هذا لم يكتب أحد من أهل العلم مجاهدًا في زمرة المعتزلة لمجرد هذه الموافقة.

إذا كان الأمر هكذا فهناك أئمة رسخت أقدامهم في العلم ممن تأخر وقتهم بالنسبة للقرون المفضلة أوّلوا بعض النصوص في الصفات كتأويلات الأشعرية فمثل هؤلاء لا يُعدّ في جملتهم إذ لم يَتَبنوا أصولهم الفاسدة كما سبق ومن هؤلاء الأئمة الإمام النووي، والحافظ ابن حجر وغيرهم.

ويتبين ذلك بأمور:

منها: أن النووي وابن حجر خالفا الأشعرية في أول واجب على المرء، وبحث ابن حجر رحمه الله المسألة في أوائل شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، وتكلم النووي رحمه الله عن المسألة عند شرحه كتاب الإيمان من صحيح مسلم.

ومنها: أنهما أقرّا على أن العمل من الإيمان، وحصرت الأشعرية

(١) فتح الباري ١٣/ ٤٣٤ ط. دار الريان.

الإيمان بالتصديق القلبي، كما في تحفة المريد للبيجوري.

وكذلك قولهما في مسألة الكلام والقدر مباين للعقيدة الأشعرية كما هو مبين في كتبهما.

ومن أعظم الأصول التي خالفا الأشعرية حجية خبر الواحد والعمل به إذا صح في كل أبواب الدين، وقضية تعارض العقل والنقل حيث تُقدِّم الأشعرية العقل كما مرّ.

وأختم هذا التنبيه بما يدل دلالة واضحة على أن ابن حجر لم يكن أشعريا. قال في ترجمة الفخر الرازي في كتابه لسان الميزان: " أوصى بوصية تدل على أنه حسّن اعتقاده ". فقوله: حسّن اعتقاده يدل دلالة ظاهرة على أن الحافظ كان يرى أن عقيدة الرازي كانت غير حسنة قبل هذه الوصية وأنه حسّنها فيما بعدُ بهذه الوصية والتوبة، ونحن نعلم أن هذه العقيدة التي تاب منها هي التي ذكرنا طرفًا منها فيما مضى نقلًا من أساس التقديس.

وهذه الوصية مشهورة ذكرها ابن السبكي وابن كثير في البداية والنهاية وابن حجر في لسان الميزان.

وبعد سنوات من الطبعة الأولى من الرِّسالة وقفت على رسالة للفخر الرّازي بحمد الله ثم بمساعدةٍ من شيخنا أحمد إمام، ، ومضمون الوصية:

قال الرّازي في رسالته الموسومة بـ "ذم لذّات الدنيا": " وليتنا ما شاهدنا هذا العالم! وليت النفس لم تتعلق بهذا البدن! وفي هذا المعنى قلت:

نهاية أقدام العقول عقال وأكثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذىً ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
وكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعا مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

واعلم أني بعد التوغّل في هذه المضايق، والتعمق في الاستكشاف عن أسرار هذه الحقائق، رأيتُ الأصوبَ الأصلحَ في هذا الباب طريقة القرآن والفرقان الكريم، وهو ترك التعمّق والاستدلال بأقسام أجسام السموات والأرضين على وجود رب العالمين، ثم المبالغة في التعظيم من غير خوض في التفاصيل. فاقرأ في التنزيه قوله: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد: ٣٨]؛ **وقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾** [الشورى: ١١] ؛ **وقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾** [الإخلاص: ١] . **واقرأ في الإثبات، ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾** [طه: ٥] ؛ **وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾** [النحل: ٥٠] ، **وقوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾** [فاطر: ١٠] ، **واقرأ في أن الكل من الله قوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾** [النساء: ٧٨] .**وفي تنزيهه عما لا ينبغي قوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾** [النساء: ٧٩] . **وعلى هذا القانون، فقس ".** انتهى كلامه.

وأضيف إلى هذا أن كلا منا يسأل أمام الله ماذا أجاب المرسلين، فأعدَّ لنفسك الجواب قبل الرحيل قال تعالى: **﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦٥﴾** [القصص: ٦٥].

واعلم أنه انتشر مذهب الأشعرية بتسميتهم أنفسهم أهل السنة والجماعة كما قال المقريزي في الخطط[١]: **والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور.**

وختاما أقول: إن لم تقنعك هذه النقولات فسيعاملك الله بما شاء، ونسأل الله أن يكف شرّك عن المسلمين.

قال صاحب الرسالة في ص: ٢: **" وقد قال الإمام قاضي القضاة تاج الدين عبدالوهاب السبكي في كتابه معيد النعم ومبيد النقم[٢]: وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة ولله الحمد في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنابلة والشافعية لحقوا بأهل الاعتزال ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم وبرأ الله المالكية فلم نر مالكيا إلا أشعريًا عقيدةً ".**

أقول: هذه كلها دعاوي يدّعيها السبكي الابن وهو معروف بتعصبه للأشعرية، وهو منهم، كما كان أبوه يتعصب لهم، فلا يكون كلام الخصم حجة على خصمه في المناظرة **هذا وجه.**

الوجه الثاني: أن يقال: إن انتساب أهل السنة في عقيدتهم لا يكون إلا إلى الكتاب والسنة أو إجماع السلف، وتارة ينتسبون إلى السنة والجماعة فيقال: أهل السنة والجماعة، وتارة إلى الحديث فيدعون أهل الحديث، وتارة إلى السلف الصالح، فيقال: أتباع السلف الصالح، أما أهل البدع فنسبتهم إلى أئمتهم، أو آرائهم كما يقال: الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية،

---

(١) الخطط ٢/ ٣٥٨ - ٣٥٩.

(٢) معيد النعم ومبيد النقم ص: ٧٥.

والرافضة، والباطنية.

وفي كلامه " **لا يحيد عنها إلا رعاع**..... ". إنزال رأي طائفة مقام إجماع السلف الصالح فكيف ينصب للناس شخصًا ثم يقول: لا يحيد عن عقيدته إلا رعاع.

والوجه الثالث: هؤلاء الأئمة الذين تنتسب إليهم في الفقه أليست عقيدتهم صحيحة؟ فلم لا انتسبت إليهم في العقيدة؟ ونعلم أنهم كانوا أعلم بالسنة من أبي الحسن الأشعري. فإن قيل: إن هؤلاء الأئمة لم يدركوا شبه أهل الضلالة حتى يجيبوا ويكتبوا فيها، يقال: بلى عاشوا مع المناضلين عن هذه الشُبه، وردّوا عليهم ذبًا للعقيدة الصحيحة، وكان الشافعي يرد على حفص الفرد وكان من أهل الاعتزال، ومالك هو الذي قال: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة " ردًا على أهل التكييف.

أما دور الإمام أحمد في الذب عن المعتقد الصحيح فَأَبْيَنُ من وضوح النهار، حتى لُقِّب بإمام أهل السنة والجماعة، وقصة المحنة ليست ببعيدة عن أفهام أهل السنة والجماعة، فلماذا أعرض هذا الكاتب عن معتقد هؤلاء الأئمة ويتلهف وراء العقائد السبعة "الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف ".

الوجه الرابع: قوله: " **فلم نر مالكيا إلا أشعريا عقيدة** "

يرد عليه ما نقله الحافظ ابن عبدالبرّ عن ابن خويز قال: " أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء

والبدع **أشعريا كان أو غير أشعري** ". وقد سبق أن أشرنا إلى هذا النقل.

والكلام عند الأشعرية هو التوحيد يقولون: " علم التوحيد ويقال: علم الكلام ". كما في خطبة تحفة المريد للبيجوري.

ولابن أبي زيد القيرواني رسالة في العقيدة تخالف عقائد الأشعرية، وهو من أئمة المالكية. هؤلاء أئمة المالكية ينقلون عن إمامهم وأصحابهم عقيدة تخالف عقيدة المتكلمين، فلا شأن لمن جاء بعدهم من المتأخرين، وانتسب لمالك في الفقه وأعرض عنه في العقيدة. أأنتم أعلم بمذهبهم أم هم؟!!

وإذا لم ير السبكي في القرن الثامن في مصر والشام إلا مالكيا أشعريا فماذا عسى أن يكون؟ فهل الدنيا مصر والشام؟ وهل القرن الثامن هو مقياس المالكية.

الوجه الخامس: والمذاهب الأخر كالحنفية فيهم من كان على مذهب السلف الصالح، وفيهم الماتريدي وخصوصا المتأخرين منهم، وفيهم المعتزلي.

أما الشافعية فلهم أيادٍ بيضاء في تقرير وتسطير العقيدة الصحيحة من منبعها الصافي الكتاب والسنة والإجماع، لكن المحنة تقليد المتأخرين منهم كالبيجوري.

وها هي مؤلفات أئمة المذهب في العقيدة لنرى هل كانوا أشعرية، كما يزعم هذا الرجل، فهذا المزني تلميذ الإمام الشافعي، له رسالة سمّاها شرح السنة بيّن فيها عقيدته وهي مطبوعة متداولة بين الناس، ولأبي بكر الإسماعيلي رسالة اعتقاد أهل السنة والجماعة استقصى فيها عقيدة أهل

السنة والجماعة، وهي مطبوعة منتشرة أيضا، قارن أيها القارئ بين هذين الكتابين وبين العقائد السبعة.

وللإمام أبي عثمان الصابوني رسالة سماها عقيدة السلف أصحاب الحديث. وممن ألّف في عقيدة أهل السنة والجماعة من الشافعية مخالفين الأشعرية أبو القاسم التيمي الملقب بقوام السنة ألف كتابه المعروف بـ الحجة في بيان المحجة. وكذلك ألّف جماعة من الشافعية في التوحيد كإمام الأئمة ابن خزيمة، واللالكائي، وشيخ الشافعية في اليمن يحيى بن أبي الخير العمراني صاحب البيان، وكتابه يسمّى بـ الانتصار ردّ فيه على المعتزلة والأشعرية.

قال الإمام محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي في كتابه الذي سماه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول) قال: " سمعت الإمام أبا منصور محمد بن أحمد يقول: سمعت الإمام أبا بكر عبدالله بن أحمد يقول: سمعت الشيخ أبا حامد الإسفراييني رحمه الله - وهو من أصحاب الوجوه في المذهب - يقول: مذهبي ومذهب الشافعي وفقهاء الأمصار أن القرآن كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، والقرآن حمله جبريل عليه السلام مسموعا من الله تعالى، والنبي ﷺ سمعه من جبريل عليه السلام، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا، وفيما بين الدفتين، وفي صدورنا مسموعا ومكتوبا ومحفوظا ومنقوشا، وكل حرف منه كالباء والتاء كله كلام الله غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، عليه لعائن الله والملائكة والناس أجمعين ".

وقال الشيخ أبو الحسن الكرجي: " **ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ويتبرءون مما بنى الأشعري مذهبه عليه**

وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه ".

وقال أيضا: " **وكان الشيخ أبو حامد الإسفراييني** ﷺ **شديد الإنكار على الباقلاني وأصحاب الكلام** "[(١)].

وذكر ابن كثير للكرجي هذا ترجمةً ومَدَحَهُ وقال عن كتابه " **إنه يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد، ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة** "[(٢)].

ولأبي إسحاق الشيرازي ﷺ طريقة يميز بها الأشعرية عن أصحابه الشافعية كما في كتابه اللمع في أصول الفقه.

وذكر الحافظ الذهبي قي كتابه سير أعلام النبلاء تحت ترجمة **القضاعي أبي عبدالله محمد بن سلامة المصري الشافعي قاضي مصر ومؤلف كتاب الشهاب**: " قال السِّلفي: " **كان من الثقات الأثبات شافعي المذهب والاعتقاد مرضي الجملة** " " إهـ.

وهؤلاء الأئمة كلهم قبل القرن السابع أتظنون أيها البيجوريّون اللقّانيون السنوسيّون أن الشافعية الذين اقتدوا بالشافعي أصلا وفرعا انقرضوا وخلا لكم الجوّ، هيهات، إن وراء الأكمة لرجالا، وإن للحق أنصارًا، وللشافعية بقايا ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثم انتقل وقال: " **وبالجملة عقيدة الأشعرية هي ما تضمنته عقيدة أبي جعفر الطحاوي** ".

أقول: ما أرخص الدعاوي إذا كانت عارية عن برهان وبينة، هاك ما

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/ ٩٥ - ٩٦.
(٢) ١٢/ ٧١٧ تحت أخبار سنة ٥٣٢ ط. دار المعرفة.

سطّره الطحاوي مباينا الأشعرية وعقيدتهم:

قال الطحاوي رحمه الله في مسألة القرآن: " وأن القرآن كلام الله منه بدا بلا كيفية قولا وأنزله على رسوله وحيًا وصدّقه المؤمنون على ذلك حقًا وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية ".

قد بلغت الفضيحة فيكم هذا المبلغ، ولا ينقضي العجب حينما تسايرون مع الطحاوية مع البون الشاسع بينكم، أتظنون أن الناس لم يروا بعدُ فضائحكم وأباطيلكم، تعال معي أيها القارئ ننظر إلى ما كتبه البيجوري في تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد[1]: **" واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه، وليس لأحد في أصل تركيبه كسب، وعلى هذا المعنى يحمل قول السيدة عائشة: ما بين دفتي المصحف كلام الله تعالى وإطلاقه عليهما بالاشتراك وقيل حقيقي في النفسي، مجاز في اللفظي ".**

قارن معي أيها القارئ بين هذا الكلام وبين قول الطحاوي: " **وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة** ". والمصيبة الشنعاء والداهية الدهياء أن الباجوري يعتنق هذه العقيدة، ويطلب من الناس أن يعتقدوها، وهي العقيدة الكفرية التي أجمع علماء السلف على كفر معتنقها، كما ذكره اللالكائي وقبله الطبراني.

وقال الباجوري أيضا: " قال السنوسي وغيره من المتقدمين: إنّ الألفاظ التي نقرأها تدل على الكلام القديم".

---

(١) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد ص ٤٥ ط. مصطفي البابي الحلبي بمصر.

وقال أيضا: " وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن، فإنه كلام الله قطعا بمعنى أنه خلقه في اللوح المحفوظ فدل التزاما على أن له تعالى كلاما نفسيا وهذا هو المراد بقولهم: القرآن حادث ومدلوله قديم ".

وقال البيجوري أيضا في رسالته التي شرح فيها على البردة للبوصيري تحت شرحه لـ:

لو ناسبت قدره آياته عظما أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

: " لو ناسبت آياته قدره في العظم لكان من جملة آياته أن يحيي اسمه دارس الرمم حين يدعى به لأن الواقع أن قدره ﷺ أعظم من آياته، حتى من القرآن المتلو، بخلاف القرآن غير المتلو، وهو المعنى القائم بذاته تعالى فإنه أعظم منه، لأن القديم أفضل من الحادث " [1].

قلت: أين العقيدة الطحاوية من هذه الأسطورات والانحرافات التي إلى الخيال أقرب. **هذه فضيحة.**

وقال الطحاوي رحمه الله: **" وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المسلمين ومن لم يتوق النفي والتشبيه زلّ ولم يصب التنزيه ".**

قلت: ومذهب الأشعرية تصويب طريقة التأويل في الصفات.

كما قال الباجوري في تحفة المريد عند شرحه على:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوِّض ورم تنزيها

---

(١) البيجوري في رسالته التي شرح فيها على البردة للبوصيري ص ٤٤ ط. مكتبة الآداب في القاهرة.

فذكر هناك أن طريقة الخلف أرجح. وفي هذا يقول لسان حال الطحاوي: هذا فراق بيني وبينكم معشر الأشاعرة . **وهذه كأختها فضيحة أخرى.**

وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته: " **والعرش والكرسي حق وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه** ".

هكذا يطلق الطحاوي رحمه الله فوقية الله، والأشعرية لا تصف الله بالفوقية المطلقة، فلم تعرف أين ربها بل إذا قلت: أين الله؟ تقوم قيامتهم، وأخذوا الاتهامات من قاموس السبّ والشتائم، كقولهم: مشبهٌ محيزٌ فوقانيٌ. . . . . الخ.

مع أن النبيّ ﷺ قال في حديثه: **أين الله؟** كما رواه مسلم في صحيحه.

تنبيه: هذا القول من الطحاوي رحمه الله لا يتعارض مع قوله: " ولا تحويه الجهات الست كسائر المبتدعات " لأن الله تعالى فوق المخلوقات كلها كيف تحويه الجهات؟ والذي دعاهم إلى ادّعاء المشابهة بينهم وبين الطحاوية هو ظنهم أن قول الطحاوي السابق يدل على أن الله ليس فوق المخلوق بائنا من خلقه، وهذا تخمين وحدس باطل يتبين بجمع أطراف كلام الطحاوي، لكن أبت المبتدعة إلا أن يلتقطوا من المجملات ما يشتهون، ويصطادوا من المتشابهات ما يدعِّمهم دون أن ينظروا إلى المحكمات المبينات قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧]. إذا كان هذا في كتاب الله فكيف في كلام العلماء، اللهم غُفرًا.

واعلم أيها القارئ أن من أعظم عورات الأشعرية المتأخرة نبذهم الكفر على العوام.

قال البيجوري في التحفة[1]: " اختلف العلماء في إيمانه - أي المقلد - صحة وعدمًا. وحاصل الخلاف فيه أقوال ستة، الأول: عدم الاكتفاء بالتقليد، بمعنى عدم صحة التقليد، فيكون المقلد كافرًا، وعليه السنوسي في الكبرى.

الثاني: الاكتفاء بالتقليد مع العصيان سواء كان فيه أهلية للنظر أم لا.

الثالث: الاكتفاء به مع العصيان إن كان فيه أهلية للنظر، وإلّا فلا عصيان. . . . . الخ ".

والنظر الذي أوجبوه على العوام هو مقدمات أصّلوها من عند أنفسهم، وجعلوها أول واجب على العباد، ومن لم يجاوز هذه القنطرة، ونطق بالشهادتين مع التصديق يسمّونه مقلدا، وفيه يدور الخلاف بينهم من مكفر ومفسق. لا تغالطوا أيها البيجوريّون بتشبّثكم على الطحاوية فهي بريئة منكم براءة الذئب من دم ابن يعقوب.

هذا غيض من فيض مما خالفت الأشعرية العقيدة الطحاوية، ولولا خشية الإطالة لسردت جميع مخالفاتهم، وهذه كافية لمن له فهم وعدل وإنصاف.

ثم عنون في كتابه عنوانا سمّاه **التأويل والسلف الصالح**

فقال: **" اعلم أن التأويل لغة هو من آل يؤول، أي رجع واصطلاحا حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله بدليل يعضده فهذا التأويل قد ثبت في الكتاب والسنة النبوية ثبوتا قطعيا لا يخالف فيه أحد".**

---

(١) التحفة ص (٢٢).

أقول: قال الجوهري: التأويل تفسير ما يؤول إليه الشيء.

وقال ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]: وأما معنى التأويل في كلام العرب فإنه التفسير والمرجع والمصير، وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

على أنها كانت تأول حبها تأول ربعي السقاب فأصحبا

وأصله من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع يؤول أَوْلًا، وأولته أنا صيرته إليه. وقد قيل: إن قوله: ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي جزاء، وذلك أن الجزاء هو الذي آل إليه أمر القوم وصار إليه ويعني بقوله: تأول حبها تفسير حبها ومرجعُه. وإنما يريد بذلك أن حُبَّها كان صغيرا في قلبه، فآل من الصغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصحب - أي ذلّ وانقاد - فصار قديما ".

أما اصطلاحا: فالتأويل على ما عرّفه هذا المخلوق يتماشى مع حدّ المتأخرين من الأصوليين.

والتأويل في الكتاب والسنة معناه حقيقة المعنى الذي يؤول اللفظ إليه، والكلام نوعان خبر وطلب، فتأويل الخبر هو الحقيقة التي يؤول إليها، وتأويل الوعد والوعيد هو نفس الموعود والمتوعد به قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] الآيه.

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير الآية: " هل ينظر هؤلاء المشركون الذين يكذبون بآيات الله ويجحدون لقاءه إلا تأويله إلا ما يؤول إليه أمرهم من ورودهم على عذاب الله، وصليِّهم جحيمه وأشباه هذا ".

وتأويل الأمر في القرآن والسنة هو الإتيان بنفس الفعل الذي أمر به كما في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: " **سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِر لِي** ". **يتأول القرآن.**

وهذا التأولُ تنفيذ أمر الله تعالى وتطبيقه من قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣].

والتأويل في اصطلاح أهل التفسير والسلف وأهل الفقه والحديث هو التفسير والبيان، ولذا سمّى الطبري رحمه الله تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن. ويقول عند تفسير الآيات " القول في تأويل قول الله تعالى " فهذا معنى التأويل الذي ورد في الكتاب والسنة وفي أقوال السلف.

أما التأويل في اصطلاح المتأخرين: فصرف اللفظ عن معناه الظاهر بدليل، فإذا كان لا يستند إلى دليل فهو تلاعب، كتأويل الباطنية. ومن هنا تقرر أن الأصل بقاء اللفظ على ظاهره، ولا يصار إلى التأويل إلا بدليل كما قال الشافعي رحمه الله: " **والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه ظاهره** " أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي، والبيهقي في مناقب الشافعي، وأبو نعيم في الحلية، والذهبي في السير.

والتأويل منه صحيح وفاسد، فما وافق دلالة النص، ولا يعود على النص بالتعطيل، واقترن معه دليل مقبول، فصحيح وغيره فاسد، وهو الذي يرده أئمة السنة من السلف الماضين والخلف المتبعين.

وإن كان مرادك فتح باب التأويل على مصراعيه، فهذا هدم للدين، وهذه طريقة الباطنية، ومن في قلبه دغل ومرض.

ومن التأويل الفاسد إنشاء تأويل جديد لم يتكلم به السلف كتأويل الاستواء بالاستيلاء، ومثل هذا التأويل يعود على النص بالتعطيل، لأن الاستيلاء يسبقه عجز، ولا يوصف الله تعالى بالعجز.

واعلم أن فتح باب التأويل في باب أسماء الله وصفاته هو تفسير لمعناها، وكيف يعرف مراد الله في ذاته وصفاته بدون التفات إلى الكتاب والسنة، وهل يكتفى في ذلك بالعقل واللوازم؟ قد وضح الأمر لكل ذي إيمان، لكن هذا الإنسان يرى القذاة في أعين أهل السنة ولا يرى الجذع في أعين أصحابه.

ومن التأويلات الفاسدة ما يأباه التركيب العربي، كتأويل اليدين في قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بالقدرتين، لأن هذا الفعل أخذ فاعله، ثم تعدى إلى ما بعده بالباء، فلم ينقل عن العرب في مثل هذا التركيب تأويل اليدين بالقدرتين.

وكذلك ذكر في الحديث أن الله خلق آدم بيده، في ضمن ما خص الله تعالى به آدم وأنعم به عليه، فإذا أوِّل معنى اليدين بالقدرتين، فلا يكون لآدم اختصاص من بين البشر إذ الكون كله مخلوق بقدرة الله، وهذا ينافي المراد من النص.

قال الإمام أبو عثمان الصابوني شيخ الإسلام، وكان من أئمة الشافعية في زمانه المتوفي سنة ٤٤٩ هـ في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث[1]:

" ولا يحرفون الكلم عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين

(١) عقيدة السلف أصحاب الحديث في ص (١٦١) ط دار العاصمة.

تحريف المعتزلة الجهمية أهلكهم الله، ولا يكيفونهما بكيف أو شبهها بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله ".

فبهذه التأويلات الفاسدة، والتحريفات، اجترأت الجهمية وأمثالهم إنكار ما هو مسطور في المصحف، وإليك نموذجا مما قاله الباجوري في رسالته المسماة بـ رسالة في علم التوحيد ضمن مجموع مهمات المتون[1]:

" **ويجب في حقه تعالى المخالفة للحوادث. ومعناه أنه تعالى ليس مماثلا، فليس له يد، ولا عين، ولا أذن، ولا غير ذلك من صفات الحوادث** ".

قلت: قارن أيها القارئ بين هذا الكلام، وبين كلام الجعد بن درهم: "**إن الله لم يكلم موسى، ولم يتخذ إبراهيم خليلا**" تجد التشابه بينهما، لكن أكثر الناس لا يفهمون خطورة هذا الأمر كما فهمه السلف الصالح، لغلبة الجهل والبعد عن الآثار النبوية. وصدق من قال:

من يَهُن يَسهُل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام

وختاما: أحببت أن أجعل معرفة أنواع الحقائق - الشرعية والعرفية واللغوية - ردفا لما تقرر.

فأقول: قال الإمام أبو المظفر السمعاني رحمه الله في كتابه قواطع الأدلة في أصول الفقه[2]: " والحقيقة على ثلاثة أضرب لغوية وعرفية وشرعية. . . .

ثم قال: أما الحقائق اللغوية فمعلومة لكل أحد، فإنه يوجد في اللغة ألفاظ مفيدة للشيء الواحد على الحقيقة، وقد توجد أيضا ألفاظ مفيدة

---

(١) رسالة في علم التوحيد ضمن مجموع مهمات المتون في ص (٢٦) ط دار الكتب العلمية.

(٢) قواطع الأدلة في أصول الفقه (٢/ ٨٦).

للشيء ولخلافه على طريق الاشتراك ".

والحقيقة الشرعية أن ينقل الشرع الشيء من حقيقته اللغوية إلى الشرعية كلفظ الصلاة والإيمان.

قال الإمام أبو المظفر رحمه الله: " الاسم العرفي هو ما انتقل من بابه بعرف الاستعمال وغلبته عليه، لا من جهة الشرع "[1].

قلت: كالدابة.

وقال رحمه الله: " وأما أمارة انتقال الاسم فهو أن يسبق إلى الأفهام عند سماعه معنى غير ما وضع له في الأصل "[2].

وقال رحمه الله: " ويعرف الفصل بين الحقيقة والمجاز بوجوه:

منها: أن يرد نص أو يقوم دليل أن اللفظ مجاز.

ومنها: أن يعلم استعمال العرب اللفظ في شيء وعدم استعمالها في غيره، فإذا أطلق اللفظ حمل على ما استعملوه فيه، ويكون حقيقة.

ومنها: أن تكون اللفظة تطرد في موضع ولا تطرد في غيره، فنعلم أنها فيما اطردت فيه حقيقة، وفيما لم تطرد فيه مجاز "[3].

والذي دعاني إلى تقرير هذا البحث هو صلته الوثيقة بالموضوع.

واعلم أن على المؤول أربع وظائف ليكون تأويله سائغا:

الأولى: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذي تأوله في ذلك التركيب الذي

---

(١) (٢/ ٩٥).
(٢) (٢/ ٩٦).
(٣) (٢/ ٩٧).

وقع فيه، وإلا كان كاذبا على اللغة منشأ وضعا من عنده، فإن اللفظ قد لا يحتمل ذلك المعنى لغة، وإن احتمله فقد لا يحتمل في ذلك التركيب كما مرّ.

الثانية: أن يبين تعيين ذلك المعنى، فإنه إذا خرج عن ظاهره، قد يكون له معان، فتعيين أحد المعاني بلا مرجح تحكم، وقد أشرنا إلى ما قاله الشافعي رحمه الله في مثل هذا.

الثالثة: إقامة الدليل الصارف للفظ عن ظاهره وحقيقته، لأن الأصل هو الظاهر والحقيقة.

الرابعة: الجواب عن المعارض، فإن مدعي الحقيقة قد أقام الدليل.

واعلم أن كل صفة وصف الله تعالى بها نفسه، ووصفه بها رسوله ﷺ، فهي صفة كمال قطعا فلا يجوز تعطيلها بدعوى الدليل العقلي، والدليل العقلي الذي يُثبت له الحياة والعلم والقدرة والإرادة يثبت له أيضا الرحمة والفرح والرضى والعلو، فكما أن حياته لا تشبه حياة المخلوقين، فكذلك فرحه لا يشبه فرح المخلوقين وهلم جرا. ونحن نعلم أن الأشعرية تقول: أوّلنا هذه النصوص لوجوب تنزيه الباري، فنقول لهم: نعم يجب تنزيه الباري لكن هل إطلاق الصفة التي وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ نبذ للتنزيه ووقوع في التشبيه؟

يجيب على ذلك الإمام أبو عيسى الترمذي صاحب السنن قال في كتاب الزكاة من سننه تحت باب فضل الصدقة: " وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد تثبت الروايات في هذا

ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك بن أنس وسفيان ابن عيينة وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد ها هنا القوّة. وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع، أو مثل سمع فهذا التشبيه. وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] انتهى كلام الإمام الترمذي رحمه الله.

ثم بدأ صاحب الرسالة يسرد تأويلات لبعض أئمة السلف حسب زعمه.

قال في ص (٤): " **وفي تفسير الإمام بن جرير الطبري السلفي**[١]: ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٥١] **أي نتركهم في العذاب فأنت ترى يا من يؤمن بالله أن ابن جرير السلفي يؤول النسيان في الكتاب بترك، ومثل ذلك في سنن الترمذي**[٢] **قال أبو عيسى الترمذي: وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية** ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٥١] **قالوا: إنما معناه اليوم نتركهم في العذاب.**

أقول: تفسير النسيان بالترك جار على أصله، ولم يخرج عنه قيد أنملة.

---

(١) تفسير الإمام بن جرير الطبري السلفي ص (٣/ ٦١٩).
(٢) سنن الترمذي (٧/ ١٣٨).

قال الإمام أبو السعادات ابن الأثير ﷺ في كتابه المشهور النهاية في غريب الحديث تحت مادة (نسى) في حديث: " **لَا يَقُولَنَّ أَحَدَكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتَ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّيَ** " كره نسبة النسيان إلى النفس لمعنيين: أحدهما أن الله تعالى هو الذي أنساه إياه لأنه المقدر للأشياء كلها. والثاني أن **أصل النسيان الترك.**

وقال الإمام اللغوي أبو الحسين أحمد بن فارس ﷺ المتوفي سنة ٣٩٥هـ في كتابه معجم مقاييس اللغة تحت مادة (نسى): " **النون والسين والياء أصلان صحيحان يدل أحدهما على إغفال الشيء، والثاني على ترك** شيء فالأول نسيت الشيء، إذا لم تذكره نسيانا وممكن أن يكون النِّسي منه، والنِّسي: ما سقط من منازل المرتحلين من رذال أمتعتهم، فيقولون: تتبعوا أنساءكم قال الشنفرى:

كأن لها في الأرض نِسيًا تَقُصُّه على أمها وإن تكلمك تَبْلتِ

وعلى ذلك يفسر قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥]، أراد والله أعلم: فترك العهد ". اهـ.

وهل يقول أحد شم رائحة علوم العربية: إن هذا تأويل، وإن أرخينا لك العنان فلم قيل في شأن آدم: "فنسي" بمعنى ترك، ومعلوم أن آدم بشر ينسى ومن هنا يعلم كل منصف أنه ليس ثم تأويل.

قال الإمام ابن جرير ﷺ نفسه في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره فتركهم الله من توفيقه

وهدايته ورحمته. وقد دللنا في ما مضى **أن معنى النسيان الترك بشواهده.**

قال الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بـ بالراغب الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن تحت مادة نسي: " النسيان ترك الإنسان ضبط ما استودع إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره "[(١)].

وقال الإمام اللغوي أبو العباس أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي المتوفى سنة ٧٧٠ في كتابه المصباح المنير تحت مادة «ن س ي»: "ونسيت الشيء أنساه نسيانًا مشترك بين معنيين: أحدهما ترك الشيء على ذهول وغفلة، وذلك خلاف الذكر له، والثاني: الترك على تعمد"[(٢)].

قلت: هذه أقوال أئمة اللغة والغريب ذكروا أصل الكلمة، وأقل أحوالها أن تكون مشتركة، فتعيين أحد المعنيين بالحقيقة وادعاء الآخر بأنه مؤول يحتاج إلى دليل، وإلا وقعت في التحكم بلا مرجح، وهذا معيب في المناظرة.

قال صاحب الرسالة: " **وهذا ترجمان القرآن وحبر أمة سيدنا محمد ﷺ، عبدالله بن عباس رضي الله عنهما يؤول قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [ن: ٤٢] ينكشف عن شدة نقل ذلك ابن جرير** ".

أقول: هذه الآية لم تذكر فيها صفة أضيفت إلى الله تعالى حتى يقال: إنها خرجت عن ظاهرها. ومن فسر الساق بالشدة له وجه في العربية. وأهل

---

(١) المفردات في غريب القرآن تحت مادة «نسي» ص ٥١٣ ط. دار إحياء التراث العربي.
(٢) المصباح المنير تحت مادة «ن س ا» ص ٤٩٤ ط. مؤسسة الرسالة.

السنة والجماعة لم يأخذوا صفة الساق من هذه الآية، بل أخذوها من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ " **فيكشف الرب عن ساقه فيخرّون له سجدا**" «متفق عليه». فأضاف الساق إلى الله تعالى، فهل أوّل أحد من السلف الصالح الساق في هذا الحديث؟ **قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟**.

قال صاحب الرسالة: " **وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى يقول: يابن آدم مرضت فلم تعدني قال: يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرض فلم تعده أما علمت أنك لو عدته لوجدتني عنده فهل يجوز لنا أن نقول: إنّ لله صفة المرض لأنها ذكرت في حديث صحيح** ".

أقول: هذا الحديث فيه بيان الله تعالى لمراده فيما قال، فأين هذا البيان الإلهي من تأويلاتكم، أم إنكم وضعتم أنفسكم موضع الشارع الحكيم فيكون تفسير الله تعالى وتفسيركم سواء، ألا تستحيون معاشر المحرِّفين.

يعلم كل عاقل أن المرض نقص في المخلوق، فضلًا عن الخالق، فكيف يتوهم ذلك في الله تعالى. وهل قال أحد من خصمائك من أهل السنة: إن الله يمرض؟.

وقد مر بنا أن التأويل إذا قارن معه دليل فهو صحيح، وهنا دليل سمعي إن قلنا: ثَم تأويل، وأين الدليل في تأويلاتكم الفاسدة التي لا يسترها ليل، ولا يغطيها ذيل، كتأويلاتكم لصفة الرضى والغضب والعلو والعجب والسخط والمجيئ والنزول و... و.... الخ .﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ .

قال صاحب الرسالة: " وأوّل عبدالله بن عباس أيضا قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: ٤٧] قال بقوّة.

أقول: هل كلمة (أيْدٍ) في الآية جمع يد على مراد ابن عباس، ثم أولها لتضم إليه في قائمة المؤولين عندك، أم إنك تتغافل.

فإن كنت تدري فتلك مصيبة وإن كنت لا تدري فالمصيبة أعظم

اسمع أيها القارئ ما قاله العلماء في الآية:

قال الراغب الأصفهاني رحمه الله في مفردات القرآن تحت مادة (أيد): " قال الله عز وجل: ﴿أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِ﴾ [المائدة: ١١٠] فعّلت من الأيد، أي القوة الشديدة وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣] أي يكثر تأييده ويقال: إدته أئيده أيدا، نحو بعته أبيعه بيعا، وأيّدته على التكثير قال عز وجل: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: ٤٧] ويقال له: آد ".

قلت: كلام الأصفهاني رحمه الله واضح في أن المراد بأيد هو مصدر آد يئيد أيدا، أي قوة.

قال الإمام اللغوي ابن فارس رحمه الله المتوفي سنة ٣٩٥ هـ في كتابه معجم مقاييس اللغة تحت مادة (أيد) " الهمزة والياء والدال أصل واحد يدل على القوة والحفظ يقال: أيّده الله أي قوّاه الله قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: ٤٧] فهذا معنى القوة. وأما الحفظ فالإياد كل حاجز الشيء يحفظه ".

وروى ابن جرير بسنده عن ابن وهب قال ابن زيد: ﴿دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾ [ص: ١٧] ذا القوة في عبادة الله، الأيد القوة وقرأ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ﴾ [الذاريات: ٤٧]

قال: بقوة ".

وقال ابن جرير الطبري أيضًا في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ١٣].

" والله يؤيد "، يقوي " بنصره من يشاء ". من قول القائل: " قد أيدت فلانا بكذا "، إذا قوَّيته وأعنته، " فأنا أؤيده تأييدا ". وفعلت منه: " إدته فأنا أئيده أيدًا "، ومنه قول الله ﷻ: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧]، يعني ذا القوة ". انتهى كلامه.

والشاهد من هذا الكلام هو أن اليد ليست بمستحيلة في حق داود عليه السلام على قول الجميع، فلماذا قيل في حقه بمعنى القوة إن كان هناك تأويل؟.

وها هو تفسير الجلالين قال في الآية: " يقال: آد الرجل يئيد قوي ".

قلت: هذه كتب التفاسير ومفردات القرآن ليس فيها ذكر اليد في الآية بل أطبقوا على أنها مصدر آد وليست جمع يد. فلنتساءل من أين أتى هذا التحريف إلى هذا الرجل؟ إنه مصدره الأساسي وهو العقل الكاسد والقصد الفاسد.

وتجوّل أيها القارئ في بطون كتب التفسير لتحظى بالحق في تفسير هذه الآية. وأنا أنصح هذا الكاتب أن يتريث فيما ينسب إلى ابن عباس وغيره من العلماء ويتذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦].

وقال: " هذا الإمام أحمد يؤوِّل قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] بجاء ثوابه. وأن البيهقي قال: وهذا الإسناد لا غبار عليه ".

أقول: الرد على هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن إسناده لا غبار عليه، لا يعني أن الكلام أو المتن صح عنه، وهذا أمر معروف.

الوجه الثاني: أن راوي هذه الكلمة عن الإمام أحمد هو حنبل بن إسحاق وله مفاريد ويغرب.

قال الإمام الذهبي رحمه الله في سير أعلام النبلاء[1] في ترجمة حنبل قلت: له مسائل كثيرة عن أحمد، ويفرد ويغرب. وكذا قال ابن نقطة: غالط. كذا في التقييد له.

قلت: هذه الرواية مما غلط فيه، لأن أصحاب أحمد المتقدمين منه كالخلال والمروذي وغيرهما لم ينقلوا تأويلا عن أحمد.

قال ابن رجب الحنبلي رحمه الله في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري[2]: قال: " وقد ذهب إليه - أي إلى التأويل - طائفة ممن يميل إلى الكلام من أصحابنا وخرّجوه عن أحمد من رواية حنبل عنه في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أن المراد: وجاء أمر ربك.

وقال ابن حامد: رأيت بعض أصحابنا عن أبي عبدالله في الإتيان أنه قال: تأتي قدرته. قال: وهذا على حد التوهم من قائله، وخطأ في إضافته إليه.

---

(١) سير أعلام النبلاء في ترجمة حنبل (١٣/ ٥٢).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٩/ ٢٧٩) تحت كتاب التهجد باب الدعاء والصلاة من آخر الليل تحت حديث النزول.

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في مختصر الصواعق المرسلة[١]: "وأما الرواية المنقولة عن الإمام أحمد فاختلف فيها أصحابه على ثلاث طرق أحدها: أنها غلط عليه، فإن حنبلا تفرد بها عنه، وهو كثير المفاريد والمخالفة للمشهور من مذهبه، وإذا تفرد بما خالف المشهور عنه فالخلال وصاحبه عبدالعزيز لا يثبتون ذلك رواية. والتحقيق أنها رواية شاذة مخالفة لجادة مذهبه، هذا إذا كان ذلك من مسائل الفروع، فكيف في هذه المسألة! وقالت طائفة أخرى: بل ضبط حنبل ما نقل وحفظه، ثم اختلفوا في تخريج هذا النص، فقالت طائفة منهم إنما قاله أحمد على سبيل المعارضة لهم، فإن القوم كانوا يتأولون في القرآن من الإتيان والمجيء بمجيء أمره سبحانه..... إلى أن قال: فأحمد ذكر على وجه المعارضة والإلزام لخصومه بما يعتقدونه في نظير ما احتجوا به عليه، لا أنه يعتقد ذلك، والمعارضة لا تستلزم اعتقاد المعارض صحة ما عارض به ".

قلت: وذلك كما قال إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ [الأنعام: ٧٦، ٧٧، ٧٨] أي بزعمكم في الكوكب والقمر والشمس.

وكذلك ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية اختلاف الحنابلة في هذه الرواية في كتابه الاستقامة[٢].

والوجه الثالث: والذي يدل أن هذه الرواية منكرة ما نقله حنبل نفسه كما في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[٣]. " قال حنبل: سألت أبا

---

(١) مختصر الصواعق المرسلة (٢/ ٦١٦) ط دار الفكر.
(٢) الاستقامة (١/ ٧٤) ط دارابن حزم.
(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (١/ ٣٧٢) ط دار البصيرة ودار الآثار.

عبدالله بن محمد بن حنبل عن الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ " **إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَآءِ الدُّنْيَا** " فقال أبو عبدالله: نؤمن بها ونصدق بها، ولا نرد شيئا منها إذا كانت أسانيد صحاحا، ولا نرد على رسول الله ﷺ قوله، ونعلم أن ما جاء به الرسول ﷺ حق، حتى قلت لأبي عبدالله: ينزل إلى سماء الدنيا؟ قال قلت: نزوله بعلمه بماذا؟ قال لي: اسكت عن هذا، ما لك ولهذا أمض الحديث على ما روي بلا كيف ولا حدّ بما جاءت به الآثار، وبما جاء به الكتاب ".

هذا الأثر يدل على أن أحمد يرى إمضاء أحاديث الصفات كما جاءت بلا كيف، وعلى هذا كان منهج السلف الصالح في الصفات.

والخلاصة: أن هذا التأويل عن الإمام أحمد لا يصح عنه رواية ولا دراية.

أما الرواية: فرواه حنبل وحده مخالفًا أصحاب أحمد المتقدمين ومخالفًا أيضًا ما رواه نفسه موافقًا أصحاب أحمد، وهل هذا إلا علامة النكارة، هذا وقد قيل فيه إن له مفاريد.

وأما الدراية: فإنّما قال ذلك لو ثبتت الرواية على سبيل الإلزام والمعارضة على الجهمية حينما قالوا له: القرآن مخلوق، لأنه يأتي يوم القيامة للحديث الوارد في ذلك. فقال لهم إنكم تقولون في قول الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]: أي أمر ربك فكذلك هنا. وكذلك ما عرف من كلام أحمد من إمضاء الصفات كما ذكر حنبل نفسه في النزول. وما قررته هنا مذكور في كتب أصحاب أحمد كابن رجب الحنبلي رحمه الله، وابن تيمية رحمه الله في كتابه الإستقامة، وكذا ابن القيم رحمه الله في الصواعق المرسلة كما في المختصر،

وصاحب المذهب أدرى بأقوال إمامه من غيره فاعلم ذلك. ومما يدل على أن أحمد كان لا يؤول المجيء أن الحافظ ابن عبدالبر رحمه الله قال في شرح حديث النزول في التمهيد: " وقول رسول الله ﷺ عندهم - يعني الصحابة - مثل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومثل قوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] كلهم يقول: ينزل ويتجلى، ويجيء، بلا كيف ولا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟ وكيف ينزل؟ ".

قلت: والظن بأحمد وأمثاله الاقتداء بالصحابة كما صرح في كتابه أصول السنة برواية عبدوس.

ثم قال: **" وهذا هو البخاري صاحب الصحيح يؤوّل الضحك الوارد في السنة نقل الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات[1] عن البخاري أنه قال: معنى الضحك الرحمة ".**

أقول: ما ذكره البيهقي رحمه الله تعالى في الأسماء والصفات من أن البخاري أوّل الضحك ليس له إسناد بل قال البيهقي: قال البخاري ومن ادّعى شيئا فعليه أن يأتي بالإسناد، هذا وجه.

والوجه الثاني: هذه كتب أبي عبدالله البخاري الصحيح، وخلق أفعال العباد وغيرهما أين هذا الكلام؟.

الوجه الثالث: قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح[2] " قال: - أي الخطابي - وقال أبو عبدالله: معنى الضحك هنا الرحمة.

---

(١) الأسماء والصفات ص (٤٢٣).

(٢) الفتح (٨/ ٥٥١) تحت باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] في كتاب التفسير.

قلت: - أي الحافظ - ولم أر ذلك في النسخ التي وقعت لنا من البخاري ".

إن تأويل الضحك بالرحمة إلى التحريف أقرب، يدل على ذلك ما رواه أحمد وابن خزيمة في التوحيد أن أبا رزين سأل النبي ﷺ أيضحك ربنا؟ قال: نعم، قال: لن نعدم من رب يضحك خيرا " صححه الألباني في الصحيحة (٢٨١٠) وله شواهد يتحسن بها. مع أن الأصل عدم التأويل.

ونبَّه الإمام أبوسعيد عثمان بن سعيد الدارمي على أمر مهم يقطع دابر التأويل، قال: " ولو كان تفسير الضحك الرضى والرحمة والصفح من الذنوب فقط كان أبو رزين في دعواك إذًا جاهلا، لا يعلم أن ربه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب حتى يسأل رسول الله ﷺ أيرحم ربنا؟ ويغفر ويصفح عن الذنوب؟ " في كتابه نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي العنيد[1].

واحذر يا طالب الحق من يطعن في علماء السلف كعثمان بن سعيد الدارمي بقوله: إنه من المجسمة والمشبهة، فأنقل كلاما له من كتابه نقض الدارمي على المريسي[2] لنكشف كذب السقاف وأمثاله في طعنهم في علماء السلف قال: " أما قولك إن كيفية هذه الصفات وتشبيهها بما هو موجود في الخلق خطأ فإنا لا نقول: إنه خطأ، كما قلت، بل هو كفر، ونحن لكيفيتها وتشبيهها بما هو موجود في الخلق أشد أنفا منكم، غير أنا كما لا نشبهها، ولا نكيفها، لا نكفر بها، ولا نكذِّب، ولا نبطلها بتأويل الضلال كما أبطلها إمامك المريسي في أماكن من كتابك. . . . . ".

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي العنيد (٢/ ٧٧٨ - ٧٧٩).
(٢) نقض الدارمي على المريسي (١/ ٢١٩).

أفيسمع كذب السقاف ومقلديه في ذكر هذا الإمام في قائمة تحت المشبهين كذبا وزورًا بعد هذا البيان.

قال: " **وأوّل النضر بن شميل السلفي حديث «حتى يضع الجبار فيها قدمه» قال: إن معناه من سبق في علمه أنه من أهل النار ذكر ذلك البيهقي في الأسماء والصفات**" [(١)].

أقول: الردّ على هذا من وجوه:

الأول: أين إسناد نقلك، وأين كتاب النضر بن شميل الذي نقلت عنه هذا التأويل الفاسد؛ لأننا نعلم أن بين النضر بن شميل والبيهقي مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي، وصدق من قال: " **الإسناد من الدين، ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء** ".

الوجه الثاني: أن البيهقي ذكر هذا على سبيل حكاية حكيت في كتاب، قال البيهقي في كتابه الأسماء والصفات[(٢)]: " قال الشيخ أحمد [وهو البيهقي]: وفيما كتب إليّ أبو نصر بن قتادة من كتاب أبي الحسن بن مهدي الطبري حكاية عن النضر بن شميل أن معنى قوله: " **حَتَّى يَضَعَ الْجَبَّارُ فِيهَا قَدَمَهُ** " أي من سبق في علمه أنه من أهل النار.

هذه هي صورة الحكاية، أترك للقارئ أن ينظر فيها ليستنتج الحقيقة فيما نحن بصدده، وهل مثلها يستدل على أن مذهب السلف هو الخوض في صفات الله بالتأويل الفاسد؟.

الوجه الثالث: أن الحديث ورد أيضا بلفظ «**حَتَّى يَضَعَ رِجْلَهُ فَتَقُولُ**:

---

(١) الأسماء والصفات ص (٣٣٠). (٢) الأسماء والصفات (٢/ ١٩٣).

قَطْ قَطْ» فلهذا اضطرب أهل التأويل حتى ادّعى ابن فورك أن الرواية بلفظ **«الرِّجْل»** غير ثابتة عند أهل النقل، ثم عقّبه الحافظ ابن حجر في الفتح[1]:

قال الحافظ: وهو مردود لثبوتها في الصحيحين.

لكن أهل التأويل لا يقفون عند هذا، بل أوّلوا القدم على تأويلات مختلفة فبعضهم قال: معنى القدم قوم يسمون القدم، وكذلك فعلوا في الرِّجْل، وبعضهم قال: المراد بالقدم الإذلال، أي يجعل تحت القدم، وبعضهم قال: قدم بعض المخلوقين، وقالوا في الرِّجْل: المراد بها الجماعة، يقال: رجلٌ من جراد، فالتقدير يضع فيها جماعته زعمًا فاسدًا. ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾ [ق: ٥].

ثم موقف السلف الصالح من هذا التسليم والكف عن الكيفية.

قال الحافظ: فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة، وهو أن تمر كما جاءت، ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله.

قلت: إطلاقها بلا كيفية لا يوهم ذلك، إذ قدم الله لا تشبه قدم المخلوقين وإن كان في الإسم اشتراك، أما المعنى عند التخصيص والإضافة فلا، ونعوذ بالله أن نظن أن في القرآن والسنة ما يوهم النقص في الله، لأن هذا كفر، والقرآن والسنة لا يوهمان الكفر. وكذلك قد مر بك أن إطلاق الصفة لا يقتضي التشبيه، فعلى هذا نثبت قدما تليق بالله تعالى، كما نثبت سمعا يليق به.

الوجه الرابع: أن يقال: إن ناقل هذا القول عن النضر بن شميل هو أبو الحسن بن مهدي الطبري، ولم يسمع منه وهو أيضا من المتكلمين الذين

---

(١) الفتح (٨/ ٤٦١ - ٤٦٢) تحت باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠].

يميلون إلى التأويل. «راجع عقيدة السلف أصحاب الحديث لشيخ الإسلام أبي عثمان الصابوني».

قال صاحب الرسالة: " **ونقل الحافظ ابن الجوزي في كتابه دفع شبه التشبيه[١]، والبيهقي في الأسماء والصفات[٢] أن الإمام سفيان بن عيينة تأول حديث «آخر وطأة وطأها الرحمن بوج» بقوله: إن معناه آخر غزوة غزاها رسول الله ﷺ بطائف** ".

أقول: الرد على هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن يقال: إن الحديث بهذا اللفظ ضعيف؛ لعلتين، **الأولى**: جهالة ابن أبي سويد. قال الذهبي في الميزان لا يعرف، تفرد عنه إبراهيم بن ميسرة المكي. **والعلة الثانية**: عمر بن عبدالعزيز لم يسمع من خولة بنت حكيم كما في جامع التحصيل في أحكام المراسيل للحافظ العلائي. وأخرج الترمذي الحديث رقم (١٩١٠) بدون " **وإن آخر وطأة وطأها الرحمن بوج** "، وقال عقبه: " حديث ابن عيينة عن إبراهيم بن ميسرة لا نعرفه إلا من حديثه، ولا نعرف لعمر بن عبدالعزيز سماعا من خولة ".

قلت: إذا بطل الأصل لم يثبت الفرع فليتنبه لذلك.

الوجه الثاني:

ثبّت التأويل نفسه عن الإمام سفيان بن عيينة، لأن البيهقي نقل عنه بقوله: " قال أبو الحسن علي بن محمد بن مهدي: وكان سفيان بن عيينة رضي الله عنه يذهب في تأويل هذا الحديث إلى ما ذكرناه ".

---

(١) دفع شبه التشبيه ص (٢٢٣). (٢) الأسماء والصفات ص (٤٢٦).

قلت: توفي علي بن محمد بن مهدي سنة ٣٨٠ هـ وابن عيينة سنة ١٩٨ هـ، وأنت ترى أيها القارئ أن بينهما مسافة بعيدة، وأنى لمثل هذا التأويل الصحة والثبوت.

الوجه الثالث: أن هذا اللفظ وإن كان وضع في اللغة بمعنى الدس بالرجل إلا أن العرف نقله عن ذلك، ولا يفهم منه عند إطلاقه إلا الإذلال، وله استعمال آخر في العرف.

قال الراغب الأصفهاني في مفردات القرآن: تحت مادة (وطأ): "ووطأته برجلي أطئه وطأ ووطاءة وتوطأته. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا﴾ [المزمل: ٦] وقرئ وِطَآء. وفي الحديث: «**اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ**» أي ذللهم. ووطأ امرأته كناية عن الجماع صار كالتصريح للعرف فيه ".

قلت: هذه حقيقة عرفية لايختلف فيها اثنان من العقلاء فضلا عن أن تحتاج إلى تأويل.

قال صاحب الرسالة في ص (٦): " **وذكر الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء[1] أن مالكا رحمه الله أول النزول الوارد في الحديث فقال: " قال الإمام مالك رحمه الله: ينزل ربنا تبارك وتعالى، أي: أمره، فأما هو فدائم لا يزول. قال صالح: فذكرت ذلك ليحيى بن بكير فقال: حسن والله، لم أسمعه من مالك** ".

أقول: نقل الذهبي ما نقله عن مالك في ترجمته لمالك في كتابه سير

(١) سير أعلام النبلاء (٧/ ٤١٨).

أعلام النبلاء لكن هذا المتعالم لم يراجع الكتاب بل نقل كما كتبه السّقّاف إلا أن ما اقترف صاحب هذه الرسالة أكبر من هذا.

كتب من نقل الذهبي ما تهواه نفسه، وبتر ما لم تألفه نفسه من التحقيق. واسمع الآن ماقاله الذهبي إثر نقله، قال: " قلت: لا أعرف صالحا، وحبيب مشهور، والمحفوظ عن مالك ﷺ رواية الوليد بن مسلم أنه سأله عن أحاديث الصفات فقال: " أمروها كما جاءت بلا تفسير " - قلت: وفي السنة للخلال: أمروها كما جاءت بلا كيف - فيكون للإمام في ذلك قولان إن صحت رواية حبيب ".

فالآن يتساءل القارئ من هو حبيب هذا، فيأتي دور كتب الجرح والتعديل في البحث عما قيل فيه.

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني ﷺ في كتابه المسمى بـ (تهذيب التهذيب): تحت ترجمته " حبيب بن أبي حبيب الحنفي أبو محمد المصري كاتب مالك: روى عنه - أي عن مالك - وعن أبي الغصن، وذكر آخرين. قال أحمد بن حنبل: " ليس بثقة "، وقال عبدالله بن الإمام: " ولم يكن أبي يوثقه، ولا يرضاه وأثنى عليه شرًا وسوءًا ".

وقال أبو داود: " وكان من أكذب الناس ".

وقال أبو حاتم: " متروك الحديث، روى عن ابن أخي الزهري أحاديث موضوعة ".

وقال النسائي والأزدي: " متروك الحديث ".

وقال ابن حبان: "كان يدخل على الشيوخ الثقات ما ليس من حديثهم".

وقال ابن عدي: " أحاديثه كلها موضوعة إلى أن قال: وعامة حديثه موضوع المتن مقلوب الإسناد ولايحتشم حبيب في وضع الحديث على الثقات، وأمره بين في الكذب ".

وقال أبو أحمد: " ذاهب الحديث ".

وقال محمد بن سهل بن عسكر: " كتبنا عنه عشرين حديثا، وعرضناها على ابن المديني فقال: هذا كله كذب ".

وقال النسائي: " متروك أحاديثه كلها موضوعة عن مالك وغيره ".

قلت: ها هي منزلته. اتفقت كلمة أئمة الجرح والتعديل في هذا الرجل المذكور في السند.

وهل يخرج المؤلف سلاحه الذي يفزع إليه دائما وهو قوله " إن هؤلاء الذين تكلموا فيه لا يؤخذ عنهم مثل هذه المسائل بحجة أنهم مشبهة، مجسمة. . . . إلى آخر ما في قاموس السب عندهم ".

وهذه إن دلت على شيء فإنما تدل على آفة التقليد الأعمى تقليد السّقّاف والكوثري اللذَينِ ما سلم منهما الأئمة حتى الصحابة نسأل الله العافية والسلامة.

ومن هنا أود أن ألفت أنظار القارئين إلى أمر مهم، وهو أنه متى تكلم هذا المخلوق تكلم بنقل غير صحيح، وببحث غير محقق، وببعد عن الإنصاف، وهذه تعد مشاغبة في العلم.

تنبيه: زعم أحد الكوثريين أن حبيبا في الإسناد هو حبيب بن أبي حبيب الأنماطي، وهو حسن الحديث، ثم تحذلق فقال: إن الألباني قال في

الإرواء: حبيب حسن الحديث، وهذه أساليب الكوثري المعهودة كما كشف عواره العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي رحمه الله أنه يبحث عن رجل ثقة يوافق اسمه اسم ضعيف، أويشابه في الاسم والكنية والنسبة فيجعل مكان الضعيف الثقة؛ ليصل إلى مآربه في تصحيح الخبر، وإن كان الخبر لا يوافق هواه يعكس القضية، لكن نصر الله دينه وحفظه عن هؤلاء الملبسين بتدوين الأئمة طبقات المحدثين.

حبيب بن أبي جبيب الذي في السند الذي نحن بصدده هو كاتب مالك، وهو الذي يروي عن مالك، واشتهر بذلك، وذكره الحافظ ابن حجر في كتابه تهذيب التهذيب من بين الذين يروون عن مالك، وتوفي حبيب سنة ٢١٨ هـ وهو من الطبقة التاسعة كما في تقريب التهذيب لابن حجر. أما الأنماطي فلم يذكر ابن حجر من الذين يروون عن مالك، بل يروي عن قتادة، والحسن البصري ممن تقدم عن مالك، وهو من الطبقة السابعة كما أن مالكا كذلك، بل الأنماطي توفي سنة ١٦٢هـ.

والخلاصة: أن هؤلاء المحرفة الذين يفترون على أئمة السلف في حيرة شديدة كما أقر أوائلهم، فتارة يقولون: ينزل أمره، وتارة ينزل ملك ربنا، وأخرى يقبل برحمته ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ﴾ [ق: ٥].

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٧): " **وأول الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري**. . . . ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] **قال: هو علمه** ".

أقول: الرد على هذا من وجوه:

الوجه الأول: أن يقال: إن هذا ليس بتأويل، بل دل على هذا التفسير السياق قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [الحديد: ٤].

الوجه الثاني: إن كان هذا تأويلا فهو تأويل صحيح مستند إلى إجماع الأئمة.

قال الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبدالبر في التمهيد تحت شرح حديث النزول: " أجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يعرج على قوله ". فلينظر المنصف إلى هذا التأويل المستند إلى الإجماع - إن قلنا: إنّ ثَم تأويلا - ثم لينظر إلى تأويلات الأشعرية في الصفات كالغضب والرضى والسخط والعجب والوجه والعلو إلى أمثال ذلك هل يستويان مثلا؟!.

ثم الحقيقة أن دلالة السياق لا يقام لها دليل؛ لأنها هي الطريقة إلى فهم المقصود.

قال الإمام الفقيه الحافظ الأصولي أبو الفتح القشيري المعروف بـ ابن دقيق العيد في كتابه إحكام الأحكام عند شرحه لحديث "الخالة بمنزلة الأم": " **إن السياق طريق إلى بيان المجملات، وتعيين المحتملات، وتنزيل الكلام على المقصود منه. وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه** " انتهى كلامه.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٧): " وأوّل سفيان الثوري أيضا قوله تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]، [ن: ٤٤] قال: " نسبغ عليهم النعم ونمنعهم الشكر " ذكر ذلك الذهبي في سير أعلام النبلاء ".

أقول: ادعاء التأويل في كلام الثوري في تفسير الآية يضحك الثكلى، كأن صاحب الرسالة يخاطب من لا يدري ولا يفهم، ولم يشم رائحة العلم، ولم يطالع التفاسير فأتى بهذه الأضحوكات.

قال الإمام الطبري في تفسير هذه الآية في سورة الأعراف: " وأصل الاستدراج اغترار المستدرَج بلطف من حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسن حتى يورطه مكروها ".

ها هي أصل الكلمة، قارن بينها وبين ما قاله الثوري، هل قوله يطابق الأصل، أم خرج عن الأصل؟ أترك الجواب للقراء. وهذا الذي يفعله الله من تمام عدله وعلمه وحكمته.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٧): " وكذلك أوّل المفسر الكبير التابعي مجاهد قول الله تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦] قال مجاهد: على ما ضيعت من أمر الله ".

أقول: الرد على هذا من وجوه:

الوجه الأول: هذه الكلمة لم تخرج عما هو المتعارف من العرب.

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: " وقال الفراء: الجنب القرب والجوار، يقال: فلان يعيش في جنب فلان، أي في جواره، ومنه ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ [النساء: ٣٦]. أي على ما فرطت في طلب جواره

وقربه وهو الجنة. وقال الزجاج: أي على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه. والعرب تسمي السبب والطريق إلى الشيء جنبا، تقول: تجرعت في جنبك غصصا، أي: لأجلك وسببك ولأجل مرضاتك. وقيل في جنب الله: أي: في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله ﷻ وثوابه، والعرب تسمي الجانب جنبا. قال الشاعر:

قُسِمَ مجهودًا لذاك القلبُ الناس جنب والأميرُ جنب

يعني الناس من جانب، والأمير من جانب. وقال ابن عرفة: أي تركت من أمر الله يقال: ما فعلت ذلك في جنب حاجتي. قال كثيّر:

ألا تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع ا.هـ.

الشاهد مما ذكرنا أن تفسير الجنب بالأمر أمر متعارف في لسان العرب.

الوجه الثاني: لا يؤخذ من الآية صفة تسمى صفة الجنب، والدليل على ذلك أن التفريط فعل، أو ترك فعل من العباد، ومثل هذا لا يكون قائما بذات الله، ولا هو فعل لله، فكيف يكون من صفات الباري جل جلاله.

أفاد ذلك الإمام ابن القيم في الصواعق المرسلة[١].

الوجه الثالث: هب أن ثم تأويلا، فقد أجمع السلف على عدم وصف الله بالجنب. وبيّن ذلك الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي المتوفي سنة ٢٨٠ هـ وهو من أئمة الحديث وأثنى عليه العلماء قال في كتابه الرد على المريسي[٢]: " فيقال لهذا المعارض: ما أرخص الكذب عندك وأخفّه

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٠) ط دار العاصمة.
(٢) الرد على المريسي (٢/ ٨٠٧).

على لسانك، فإن كنت صادقا في دعواك، فأشر بها إلى أحد من بني آدم قاله، وإلا فلم تشنع بالكذب على قوم هم أعلم بهذا التفسير منك وأبصر بتأويل كتاب الله منك ومن إمامك، إنما تفسيرها عندهم تحسر الكفار على ما فرّطوا في الإيمان والفضائل التي تدعوا إلى ذات الله، واختاروا عليها الكفر والسخرية بأولياء الله، فسمّاهم الساخرين فهذا تفسير الجنب عندهم".

فها هي أقوال السلف متظاهرة على ما ذكرنا فهم القدوة ونحن تبع لهم في ما أجمعوا عليه.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٧): " وأوّل حمّاد بن زيد حديث النزول فقال: نزوله إقباله. ذكر ذلك الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات[١]".

أقول: أين إسناد البيهقي المتصل إلى حماد بن زيد، حتى يرى هل صح عنه التأويل أم لا؟ وعلى المستدل أن يبيّن صحة ما استدل به، فالعلم إما نقل مصدق، أو بحث محقق، لكني أتطوع فأذكر سند البيهقي كي يرى القارئ حقيقة الأمر الذي يكتم هذا الإنسان وأترابه فأقول:

قال البيهقي في الأسماء والصفات[٢]: " وقرأت بخط الأستاذ أبي عثمان رحمه الله في كتاب الدعوات عقيب حديث النزول. قال الأستاذ أبو منصور الحمشاذي على إثر الخبر: " وقد اختلف العلماء في قوله: ينزل الله فسئل أبوحنيفة عنه، فقال: ينزل بلا كيف وقال حماد بن زيد: نزوله إقباله " ".

---

(١) الأسماء والصفات ص (٤٢١).

(٢) الأسماء والصفات (٢/ ٣٨٠) ط مؤسسة السوادي للتوزيع.

قلت: أبو منصور الحمشاذي هو محمد بن عبدالله بن محمد بن حمشاذ النيسابوري الشافعي توفي سنة ٣٨٨ هـ عن ٧٢ سنة معنى ذلك أنه ولد سنة ٣١٦ هـ وحماد بن زيد مات سنة ١٧٩ هـ[١].

علم فيما تقرر أن بين مولد الحمشاذي ووفاة حماد بن زيد أكثر من قرن، فكيف اجترأت في هذا الأمر العظيم الذي تبدِّع فيه الفئام من الناس دون إسناد، ولا مستند، أما تتقي الله في أعراض المسلمين.

والوجه الثاني: قد مر بنا أن الصحابة قالوا: ينزل ويجيء دون أن يتعرضوا لمثل هذه التأويلات، وحمّاد من الأئمة الذين جعلهم الله لسان صدق في الآخرين المقتفين لآثار من تقدم من الصحابة والتابعين.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٧): " فهذه نصوص واضحة ثابتة عن السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تأويل صفات الله تعالى ".

أقول: قد رأيت بطلان ما نقله عن السلف، وهذا الرجل إن نقل فجلّ نقولاته إما مكذوبة، أو ضعيفة، والباقي القليل ظنها تأويلات إما جهلا، أو تجاهلا وليست منها في شيء، والبقية القليلة مستندة إلى دليل سمعي أو إجماع ولا يقاس على غيره مما لم يرد فيه تأويل لوجود الفارق فافهم هذا.

ثم قوله: " **في تأويل صفات الله** " يقال: هل التأويل في جميع الصفات طريقة السلف الصالح؟ أم إنك تستثني سبعا كما هو مشهور في عقيدتك التي تدعوا الناس إليها فتكيل بمكيالين؟ وماذا عسى أن يقول خصمك المعتزلي

---

(١) انظر سير أعلام النبلاء (١٦/٤٩٨).

الذي يؤول جميع الصفات، لا يقتلك إلا بسلاحك الذي تتسلح به أمام أهل السنة، فلا اتبعت طريقة السلف في زعمك حيث أخرجت سبعًا من الصفات عن قانون التأويل، ولا حقيقةَ العقيدة السلفية في ترك التأويل وإجراء نصوص الصفات على ظاهرها حيث أولت سائر الصفات.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٨): " فوالله الذي لا إله غيره لا يرجى فلاح ممن ناوأهم " يعني الأشعرية.

أقول: الخير والفلاح بيد الله قال تعالى: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]، وليس لأحد أن ينصب شخصا غير الرسول ﷺ فيقول: من حالفه فهو المفلح الخيِّر، ومن ناوأه فهو الخاسر، ويوالي ويعادي فيه. والذي لا يرجى منه خير في الدنيا ولا في الآخرة هو من ناوأ الرسول ﷺ، قال تعالى في شأن من عابه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾﴾ [الكوثر: ٣] أي أقطع عن الخير. وقال في حقه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤] وقال في اتباعه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] وقال في من خالف أمره: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

واعلم أيها القارئ أن هذا الإنسان نهج في رسالته نهجا غير نهج المصطفى ﷺ إذ لم يترك ما أطلقه النبي ﷺ من صفات الله تعالى على إطلاقه، بل وضع عليها قانونًا من قبل أصحابه ثم زاد الطين بلة، فنصب للناس شخصا، أو طائفة، وألزم الناس على اتباعهم وربط الخير والفلاح على الانتساب إليهم ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الملك: ٢٢].

ثم قال صاحب الرسالة في ص (١٠): قال الإمام النووي في شرح صحيح مسلم[١] عند شرحه حديث " يَنزِلُ رَبُّنَا كُل ليلة إلى السماء الدنيا " هذا الحديث من أحاديث الصفات، وفيه مذهبان مشهوران للعلماء: أحدهما وهو مذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين أنه يؤمن بأنها حق على ما يليق بالله وأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد، ولا يتكلم في تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات المخلوق..... الخ ".

أقول: اتّباع مذهب السلف هنا واجب قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ [النساء: ١١٥] فإذا كان الصحابة والتابعون وتابعوهم أمضوا أمر الصفات كما وردت، ولم يتكلفوا على التأويلات البعيدة وقالوا: **" أمرّوها كما جاءت بلا كيف "** فلا يلتفت إلى حدس وتخمين الخلف بدون استناد إلى أي نص، وكيف جهل الأوائل ما عرفه الخلف، وخصوصا في أمر عظيم هائل يتعلق في أسماء الله وصفاته.

إن عقيدة السلف في الأسماء والصفات مدونة في كتبهم، فمصنَّفاتهم شاهدة على عقيدتهم، فالكتاب عنوان المؤلف، وها أنا أعرض بعض عقيدتهم على القراء من كتبهم:

قال الإمام الترمذي في سننه[٢]: " وقد ذكر الله تبارك وتعالى في غير موضع من كتابه: اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها على غير ما فسر أهل العلم وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده،

---

(١) شرح صحيح مسلم (٦/ ٣٧).

(٢) سنن الترمذي ٢/ ٢٠٢ (٦٧٠) ط. مؤسسة الرسالة العالمية.

وقالوا: إن معنى اليد هاهنا القوة".

وقال قبل هذا: " وقد قال غير واحد من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا قالوا: قد ثبتت الروايات في هذا، ويؤمن بها ولا يتوهم، ولا يقال: كيف؟ هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عيينة، وعبدالله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمرّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه ".

أما القول: " بأن ظاهرها المتعارف في حقنا غير مراد ".

فيقال: المؤمن لا يتصور عند إجراء هذه الصفات على ظاهرها تشبيهها بصفات المخلوقات، لأنه بإيمانه يفرق بين الخالق والمخلوق، ويؤمن بقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ويعتقد ظاهرها اللائق بالله، كما إذا أطلق يد ابن آدم لا يفهم من ظاهرها إلا يد تليق به، وإذا قيل: يد القرد لا يفهم منها إلا يد تليق به، فكيف لا يفهم من إطلاق يد الخالق معنى يليق به. وعلى مثل هذا تجرى جميع الصفات.

وأما الأشعرية المتأخرة المتأثرون بالمعتزلة فإنهم يجرون الظاهر على الصفات السبع، فنسألهم ونقول لهم: هل الظاهر فيها هو المتعارف عندنا؟ فإن قالوا: نعم، وقعوا في التشبيه؛ وإن قالوا: ظاهر يليق به رجعوا إلى ما نقول، ونقول لهم قد أحسنتم في هذا فكذلك قولوا في البواقي.

وأختم بهذه الفقرة مناقشة سجّلها الإمام ابن جرير الطبري يناظر فيها

على من يفر من إقرار ظواهر الصفات.

قال في كتابه **التبصير في معالم الدين** [(١)]: " فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله ﷻ ووحيه، وجاء ببعضها رسول الله ﷺ؟ قيل: الصواب من هذا القول عندنا أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات، ونفي التشبيه كما نفى ذلك عن نفسه جل ثناؤه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

وقال في ص (١٤٢): " فنثبت كل هذه المعاني التي ذكرنا أنها جاءت بها الأخبار والكتاب والتنزيل على ما يعقل من حقيقة الإثبات، وننفي عنه التشبيه، فنقول: يسمع جل ثناؤه الأصوات، لا بخرق في أذن، ولا جارحة كجوارح بني آدم، وكذلك يبصر الأشخاص ببصر لا يشبه أبصار بني آدم التي هي جوارح لهم، وله يدان، ويمين، وأصابع وليست جارحة، ولكن يدان مبسوطتان بالنعم على الخلق، لا مقبوضتان على الخير، ووجه لا كجوارح الخلق التي من لحم ودم، ونقول: يضحك إلى من شاء من خلقه، ولا نقول: إن ذلك كشر عن أسنان، ويهبط كل ليلة إلى السماء الدنيا، فمن أنكر شيئا مما قلنا من ذلك قلنا له: إن الله تعالى ذكره يقول في كتابه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠] وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] فهل أنت مصدق بهذه الأخبار، أم أنت مكذب بها؟ فإن زعم أنه بها مكذب سقطت المناظرة

---

(١) التبصير في معالم الدين ص (١٤٠).

بيننا وبينه من هذا الوجه. وإن زعم أنه بها مصدق قيل له: فما أنكرت من الخبر الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه يهبط إلى السماء الدنيا فينزل إليها، فإن قال: أنكرت ذلك أن الهبوط نقلة، لأنه لا يجوز عليه الانتقال من مكان إلى مكان، لأن ذلك من صفات الأجسام المخلوقة. قيل له: فقد قال جل ثناؤه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢] فهل يجوز عليه المجيء؟ فإن قال: لا يجوز ذلك عليه، وإنما معنى هذا القول وجاء أمر ربك قيل: قد أخبرنا تبارك وتعالى أنه يجيء هو والملك، فزعمت أنه يجيء أمره، لا هو، فكذلك تقول: إن الملك لا يجيء، إنما يجيء أمر الملك، لا الملك، كما كان معنى مجيء الرب، فإن قال: لا أقول ذلك في الملك، ولكني أقول: في الرب، قيل له: فإن الخبر عن مجيء الرب تبارك وتعالى والملك خبر واحد، فزعمت في الخبر عن الرب تعالى أنه يجيء أمره، لا هو، وزعمت في الملك أنه يجيء بنفسه لا أمره، وما الفرق بينك وبين من خالفك في ذلك، فقال: بل الرب هو الذي يجيء، فأما الملك فإنما يجيء أمره لا هو بنفسه؟ فإن زعم أن الفرق بينه وبينه أن الملك خلق لله جائز عليه الزوال والانتقال، وليس ذلك على الله جائزا. قيل له: وما برهانك على أن معنى المجيء والهبوط والنزول هو النقلة والزوال، ولا سيما على قول من يزعم منكم أن الله تقدست أسماءه لا يخلو منه مكان، وكيف لم يجز عندكم أن يكون معنى المجيء والهبوط والنزول بخلاف ما عقلتم من النقلة والزوال من القديم الصانع؟ وقد جاز عندكم أن يكون معنى العالم والقادر منه بخلاف ما عقلتم ممن سواه، أنه عالم لا علم له وقادر لا قدرة له. . . . . إلى أن قال: فإن قال لنا منهم قائل: فما أنت قائل في معنى ذلك قيل له: معنى ذلك

ما دل عليه ظاهر الخبر، وليس عندنا للخبر إلا التسليم والإيمان به، فنقول: يجيء ربنا جل جلاله يوم القيامة والملك صفا صفا، ويهبط إلى السماء الدنيا، وينزل إليها في كل ليلة، ولا نقول: معنى ذلك ينزل أمره، بل نقول: أمره نازل إليها كل لحظة وساعة، وإلى غيرها من جميع خلقه الموجودين ما دامت موجودة، ولا تخلو ساعة من أمره، فلا وجه لخصوص نزول أمره إليها وقتا دون وقت ما دامت موجودة باقية، وكالذي قلنا في هذه المعاني من القول الصواب من القيل في كل ما ورد به الخبر في صفات الله ﷻ وأسمائه تعالى ذكره بنحو ما ذكرناه " **انتهى كلامه.**

وأعتذر للقراء من إطالة النقل إلا أنني اضطررت إلى ذلك؛ لأن المقام يقتضيه، ولأن ابن جرير من أئمة السلف يتكلم بلسانهم، ويفصح في كلامه الأخذ بظواهر نصوص الصفات وحقائقها مع اجتناب التشبيه.

ثم قول بعضهم: **ظواهر نصوص الصفات غير مراد** نقضه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

قال في **الرسالة المدنيّة** [1]: " وهذه العبارة خطأ إما لفظا ومعنى، أو لفظا لا معنى؛ لأن الظاهر قد صار مشتركا بين شيئين: أحدهما أن يقال: إن اليد جارحة من جوارح العباد، وظاهر الغضب غليان دم القلب لطلب الانتقام، وظاهر كونه في السماء أن يكون مثل الماء في الظرف فلا شك أن من قال هذه المعاني وشبهها من صفات المخلوقين ونعوت المحدثين غير مراد من الآيات والأحاديث فقد صدق وأحسن؛ إذ لا يختلف أهل السنة أن الله تعالى ليس

(١) الرسالة المدنيّة ص (٣٠) تحقيق الوليد بن عبدالرحمن الفريان.

كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، بل أكثر أهل السنة من أصحابنا وغيرهم يكفرون المشبهة والمجسمة، لكن هذا القائل أخطأ حيث ظن أن هذا المعنى هو الظاهر، من هذه الآيات والأحاديث، وحيث حكى عن السلف ما لم يقولوه، فإن ظاهر الكلام ما يسبق إلى العقل السليم لمن يفهم بتلك اللغة، ثم قد يكون ظهوره بمجرد الوضع، وقد يكون بسياق الكلام، وليست هذه المعانى المحدثة المستحيلة على الله هي السابقة إلى عقل المؤمنين، بل اليد عندهم كالعلم والقدرة والذات فكما كان علمنا وقدرتنا وحياتنا وكلامنا أعراضا تدل على حدوثنا، يمتنع أن يوصف الله بمثلها فكذلك أيدينا ووجوهنا ونحوها أجسام كذلك محدثة، يمتنع أن يوصف الله سبحانه بمثلها، ثم لم يقل أحد من أهل السنة إذا قلنا: إن لله علما وقدرة وسمعا وبصرا أن ظاهره غير مراد، ثم يفسره بصفاتنا فكذلك لا يجوز أن يقال: إن ظاهر اليد والوجه غير مراد " انتهى كلامه.

وأكتفي بهذين النقلين من هذين الإمامين في الرد على ما فهمه هذا المعترض من كلام بعض العلماء.

قال صاحب الرسالة في ص (١١): " واعلم أيها الأخ المسلم الكريم أن التفويض كان أيضا مذهب سلفنا الصالح رحمة الله عليهم فكانوا يفوضون معاني الصفات، ولا يخوضون فيها خوض المبتدعة الجفاة، فإنهم ضلوا في مذهب التفويض فيقولون في نحو قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: على حقيقته المعهودة ولكن نفوض إلى الله كيفيته وفي قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡۚ﴾ [الفتح: ١٠]: اليد على حقيقتها ولكن نفوض كيفيتها وهلم جرا، فتراهم يعتقدون في الله الكيف مع تشدقهم بقولهم: لا نصف الله إلا بما

وصف به نفسه وأين وردت الكيفية في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حتى نفوضها ثم ذكر بعض نصوص السلف (أمرّوها كما جاءت بلا كيف) ".

أقول: الرد عليه من وجوه:

الوجه الأول: ادعاؤك أن السلف كانوا يفوضون معاني الصفات، هو تجهيل لهم عن معاني أفضل آيات القرآن كآية الكرسي وسورة الإخلاص، ونحن نعلم يقينًا أن الله أمرهم وأمرنا أن نتدبر القرآن، وحث على ذلك، فكيف تم لهم ويتم لنا التدبر في هذه الآيات مع الجهل بمعانيها، وهل هذا يليق بأئمة السلف من الصحابة والتابعين؟.

الوجه الثاني: ما قولكم في الصفات السبعة هل تجهلون معانيها، فإن قلتم: لانجهل معانيها، فمن أين يأتى الفرق بينها وبين غيرها من الصفات، أمن الله أم من رسوله ﷺ، أم من أئمة السلف الصالح؟ نبئوني بعلم إن كنتم صادقين. وإن قلتم: لا نعلم معانيها يكذبكم واقعكم.

الوجه الثالث: قد مر بنا أن السلف كانوا يعرفون معاني الصفات.

قال ابن جرير رحمه الله في كتابه **التبصير في معالم الدين** [1]: " فإن قال لنا قائل: فما الصواب من القول في معاني هذه الصفات التي ذكرت، وجاء ببعضها كتاب الله ﷻ ووحيه وجاء ببعضها رسول الله ﷺ قيل: **الصواب من هذا القول عندنا أن نثبت حقائقها على ما نعرف من جهة الإثبات ونفي التشبيه** كما نفي ذلك عن نفسه جل ثناءه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

(١) التبصير في معالم الدين ص (١٤٠).

الوجه الرابع: لو كانت عقيدة السلف التفويض في المعنى كما يدعيه هذا الكاتب فما معنى قول مالك " الاستواء معلوم؟ فإن قلت: أي معلوم أنه ثابت في القرآن، فهذا يعرفه الطفل في الكُتَّاب، فهل هذا يحتاج إلى تنبيه.

الوجه الخامس: نفي علم الكيفية دون المعنى منصوص في كلام أئمة السلف الصالح، وإليك كلامهم:

قال الإمام مالك وشيخه ربيعة: " الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه - أي عن الكيف - بدعة ".

إذا لم تكن هناك كيفية لا تعرف فلماذا يقولون: " **والكيف مجهول** ".

قال الأئمة الأعلام الثوري والليث والأوزاعي ومالك: " أمرّوها كما جاءت بلا كيفية " خافوا أن يؤدي معرفة المعنى إلى التجاوز إلى ذكر الكيفية، والكيفية غير معلوم لديهم فأثبتوا ما أثبته الله وسكتوا عما لم يعرَّفوا به. ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتاب **التوحيد**[1] له تحت حديث النزول: "فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول ".

وقال عبدالعزيز بن الماجشون من أئمة السلف لما سئل عما جحدت الجهمية قال: " ..... وإنما أمروا بالنظر والتفكر في ما خلق، وإنما يقال: كيف لمن لم يكن مرة ثم كان، أما من لا يحول ولا يزول ولم يزل

(١) كتاب التوحيد (١/ ٢٩٠).

وليس له مثل فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو ". رواه أبوبكر الأثرم وابن بطة في الإبانة بإسناد صحيح.

انظر أيها القارئ إلى قول الماجشون: فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو تجد صحة ما ذهب إليه أهل السنة، وانحراف ما يدعو إليه هذا المتجاسر.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (١٢): " وقال الترمذي في باب فضل الصدقة: " قد ثبتت هذه الروايات فنؤمن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف كذا جاء عن مالك وابن عيينة وابن المبارك أنهم أمرّوها كما جاءت بلا كيف وهذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة ".

أقول: لِمَ لم تكمل الكلام؟ الجواب واضح لأن كلام الترمذي الذي بتره يصادم قصده ومرامه.

وهاك ما بتره من مقالة الترمذي، قال الترمذي إثر نقل هذا المعترض: "وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات، وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكرالله ﷻ في غير موضع من كتابه اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسروها علي غير مافسر أهل العلم، وقالوا: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إن معنى اليد القوة ".

قلت: قطع هذا الكلام بقلمه الجائر لمّا ناقض ما قرره من رميه التجهيل بمعاني الصفات على السلف الصالح، لأن الترمذي يقول: "**ففسروها علي غير ما فسر أهل العلم**" ينص هذا الإمام السلفي على أنّ للجهمية تفسيرًا يخالف تفسير أئمة السلف، حيث أوّلوا اليد بالقوة، وأجرى السلف على ظاهر اللفظ وأمرّوها كما جاءت، فالتفسير المرفوض هو تفسير

الجهمية، لا تفسير السلف، فأين التفويض في المعنى أيها الإنسان.

قال الإمام محمد بن الحسن الشيباني: " اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب ﷻ من غير تفسير ولاوصف ولاتشبيه فمن فسر اليوم شيئا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة، فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنه ثم سكتوا، **فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لاشيء** ". رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[١].

ها أنت ترى أيها القارئ أن الإمام الشيباني يردّ على تفسير معين، وهو الذي يؤول إلى التعطيل، وهو تفسير الجهمية كما قرره الإمام الترمذي.

وقال الحافظ الخطيب البغدادي رحمه الله في جوابه لمن سأل عن الصفات: " أما الكلام في الصفات فإن ما روي منها في السنن الصحاح مذهب السلف رضوان الله عليهم إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها ".

وقال الحافظ ابن حجر في الفتح[٢]: " وأشد من ذلك في كثرة السؤال البحث عن أمور مغيبة ورد الشرع **بالإيمان بها مع ترك كيفيتها.**

والخلاصة أن يُعلم أن مذهب التجهيل لا يلصق بأئمة السلف الماضين، كما أنهم برءآء من مذهب التحريف المسمى عند هذا الكاتب

---

(١) شرح أصول إعقاد أهل السنة والجماعة في (١/ ٣٥٤) (٧٤٠) ط دار البصيرة.
(٢) الفتح (١٣/ ٢٨١) ط دار الريان تحت باب ما يكره من كثرة السؤال من كتاب الاعتصام بالسنن من صحيح البخاري.

بطريقة التأويل. واعلم أن الجهل بكيفية الصفات أمر قد سطره أئمة السلف كما أوضحنا أعلاه.

ثم عنون صاحب الرسالة قائلا: **"الاستواء وما قال السلف الصالح عنه".**

قلت: هذا عنوان يغر به صاحبه شبهَ العوام من الناس حتى يوقع في خلدهم أنه ممن يرجع في عقيدته إلى السلف الصالح، ولكن عما قريب سينكشف عنك الغطاء، حيث لا تجد تحت عنوانه نقلًا واحدًا عن السلف، بل يحوم حول الخلف.

ذكر تحت هذا الفصل نقلا **عن تاج الدين السبكي عن ابن جهبل أنه قال: إن آية ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾** [طه: ٥] **عمدة المشبهة وأقوى معتمدهم حتى إنهم كتبوها على باب جامع همذان.**

قلت: أين نقلك عن السلف في هذا؟ أم إنك تعتصم بقول خصم أشعري على خصمه، فهذه يمكن أن تقابل بأختها

ثم رجع الكرة إلي الخلف فنقل عن ابن الجوزي فيما ذكره في كتابه دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه فقال:

" قد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقال: استوى على العرش بذاته وهي زيادة لم تنقل إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوي على الشيء إنما تستوي عليه ذاته ".

أقول: أتشابه عليك أقوال أئمة السلف وأقوال علماء الخلف، فهل صار ابن الجوزي من أئمة السلف الصالح أئمة القرون الثلاثة المفضلة، أين محتوى عنوانك البراق أيها الرجل؟ أم إنه اضمحل.

إن البحث عن كلمة " بذاته " لا نحتاج إليه، لأن الله هو الله بصفاته و" الله " اسم علم على ذات الله، فإذا كان الله قد استوى على عرشه، وهو العلي، فمن أخرج الذات عن الإطلاق، وقيد العلو بالشرف والقهر فوظيفة البحث عن الدليل عليه، لأن المطلق أو العموم محمول على إطلاقه أو عمومه حتى يرد التقييد أو التخصيص كما هو مقرر في أصول الفقه.

ثم إنني أسأل من يدندن حول نفي كلمة " بذاته " هل تعتقد أن الله سميع حي عليم قدير بذاته؟ فإن قال: نعم. قلنا له: لم سلبتها عن الصفات الباقية؟ فإن قال بالنفي فقد فرق بين صفات الله وذاته، مع أننا نعلم أنه لم ينقل كلمة " بذاته " لا في العلو ولا في السمع ولا في البصر، ونعتقد أن الله بذاته موصوف بالعلم والعلو والسمع، وهلم جرا.

والخلاصة: إن أبيت إلا النقل عن الخلف، والدندنة حولهم قابلناك بنقل أئمة الخلف في التصريح عن هذه الكلمة، فهذا الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني شيخ الشافعية في اليمن، وصاحب كتاب البيان صرح في كتابه **الانتصار** تحت باب الاستواء أن الله مستو على العرش بذاته، فتلك تقابل بهذه، والمفزع عند النزاع إلى السنن.

وعلى كل من يشكك المسلمين في علو الله تعالى علوا مطلقا أن يبين أمورا لابد منها:

(١) أن يبين دليله في التقييد تقييد العلو بالعلو المعنوي

(٢) أن يلتزم بالنفي في ما يثبته من الصفات السبعة

(٣) وأن يذكر من نفاها من أئمة السلف الصالح

(٤) وأن يبين للناس أن الله بذاته ليس عال على خلقه، وهذه لوازم شنيعة.

وأخيرا، ترك هذه اللفظة من تركها لوضوحها في الآيات والأحاديث دون ذكرها، وذكر من ذكرها إزالة لتلبيس أتباع الجهمية. وحال أهل البدعة مشهور إذا أخرجوا من خندق تترسوا بآخر، وصدق الإمام البخاري ناقلا عن بعض الأئمة في كتابه خلق أفعال العباد " **أهل البدعة كل يوم في شبهة جديدة** ".

ثم نقل صاحب الرسالة **عن ابن كثير** رحمه الله **في تفسيره عند تفسير آية الأعراف** ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] و[يونس: ٣]، " **فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها، وإنما نسلك في هذاالمقام مذهب السلف الصالح مالك والأوزاعي والليث بن سعد والشافعي وأحمد وإسحاق ابن راهويه وغيرهم من أئمة المسلمين قديما وحديثا وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولاتشبيه ولا تعطيل والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى فإن الله لايشبهه شيء من خلقه** ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] . " **انتهى كلامه.**

أقول: على الخبير سقطت ما بقي إلا أن أكمل ما تركه المعترض إما تدليسا أو جهلا وأحلاهما مر.

قال ابن كثير عقب ما نقل عنه مباشرة: "بل الأمر كما قال الأئمة منهم نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري: من شبه الله بخلقه كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولارسوله

تشبيه، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة على الوجه الذي يليق بجلال الله ونفى عن الله النقائص فقد سلك سبيل الهدى ".

قارن أيها القارئ بين هذا الكلام، وبين ما نقلنا عن الترمذي من أن الجهمية أنكرت اليد، وقالت إنها تشبيه، ومعناها القوة. أما الأئمة فقالوا: تمر هذه الصفات بلا كيف ولا توهم.

ومن جهة أخرى إذا نظرت إلى الكتب التي تسمى في بلادنا بـ " العقائد السبعة " وشروحها رأيت أنهم لا يثبتون فيها اليد والوجه. . . . إلخ. بحجة أن إثباتها يقتضي تشبيهًا فيصدق عليهم المثل " **وافق شن طبقة** ".

وتأمل أيها القارئ قول ابن كثير: " **والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله تعالى** " تجد أنه لم يطلق الأذهان، بل قيد بالمشبهين. وأولى من يدخل في هذه الحظيرة المعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشعرية، لأنهم عند إطلاق الصفة تذهب عقولهم إلى التشبيه، ثم يعطلون، فوقعوا فيما فرّوا منه، شبّهوا، ثم عطّلوا، وجمعوا بين بدعتين: التشبيه والتعطيل، ومثل هذه الأوهام رد ابن كثير، أما أهل السنة فعافاهم الله من هذين الداءين التعطيل والتشبيه، ووفقوا إلى الإثبات مع التنزيه.

قال صاحب الرسالة في ص (١٥): " **وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح[1]: أخرج البيهقي بسند جيد عن عبدالله بن وهب قال: كنا عند مالك فدخل رجل فقال: يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾** [طه: ٥]

(١) الفتح (١٣/ ٤٠٧).

كيف استوى؟ فأطرق مالك فأخذته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كما وصف به نفسه ولا يقال: كيف، وكيف عنه مرفوع، ولا أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه ".

أقول: لا أدري هل سطر هذا ردّا من نفسه على نفسه أم حيرة. ردّ الإمام مالك على السائل الذي سأل " **كيف استوى؟** " ولم يقل: لا يسأل معنى الاستواء، بل الرواية المشهورة عنه التي رواها أبو عثمان الصابوني في كتابه عقيدة السلف أصحاب الحديث " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلا ضالًا فأمر فأخرج " فكيف يتم إيمان بلا معرفة، وما هو السؤال المذموم المستحق صاحبها التبديع؟ أليس هو البحث عما يجهله البشر، ولا يمكنه معرفته، وهو الكيف، الأمر الذي سأل السائل الإمام مالكا رحمه الله، وقد نقل الحافظ مثل هذه الرواية في فتح الباري في نفس الصفحة والجزء الذي نقل عنه الكاتب. وقد ذكر أن عقيدة الشافعي وأحمد وغيرهما من السلف إجراء نصوص الصفات على ظاهرها كما وردت كما وصف الله بها نفسه بلا كيف، أين أنت من هذا، ألا تتقي الله في إضلال الناس بغضا على بعض الرجال ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ٤ - ٦] وهل خصمك يسأل عن الكيفية ويقول: كيف استوى حتى تلزمه بلوازم لا تلزمه.

ثم قال: " **والمسلك الثاني تأويل الاستواء بعلو الملك والسلطنة ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره عند كلامه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: " فكذلك فقل: علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو**

انتقال وزوال اهـ "[1].

أقول: كلامه مفنّد ومطروح من وجوه مجملة ومفصلة:

أما المجملة: فأن يقال: إن تأويل العلو المطلق بعلو الملك والسلطنة يؤول إلى أن ذات الله يستوي فيها العلو والسفول ويرتقى بهذه إلى عقيدة الحلول والاتحاد، وهي عقيدة أغلظ كفرًا من عقيدة التثليث عند النصارى.

تفسير الاستواء بعلو سلطنة وملك يقتضي أن الملك والسلطنة هما اللذان استويا على العرش، دون ذات الله المقدسة، والمعنى يكون: ثم استوت سلطنة الله وملكه على العرش سبحانك هذا بهتان عظيم.

وفي نقله إيهام للقراء أن ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ قال: هذا إنشاءًا، وتفسيرا منه والأمر يخالف ذلك، وبيانه فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وهل كلام الله يخصَّص بأقوال العلماء إن ثبت عنهم ما يعتقده هذا الجامع، وهذا كتاب الله وهذه سنة رسول الله ﷺ تظاهرا على ذكر العلو المطلق.

أما الوجوه المفصلة: فأكتفي بتكملة ما قطعه من كلام ابن جرير في تفسير الآية قال بعد أن ذكر أقوال الناس في الاستواء: " **وأولى المعاني** بقول الله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته، وخلقهن سبع سموات. والعجب ممن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩] الذي بمعنى العلو والارتفاع هربا من عند نفسه من أن يلزمه بزعمه إذا تأوله

---

(١) (١/ ١٩٢).

بمعناه المفهم كذلك أن يكون إنما علا وارتفع بعد أن كان تحتها، إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستنكر، ثم لم ينج مما هرب منه. فيقال له: زعمت أن تأويل قوله: ﴿ٱسْتَوَىٰ﴾ أقبل أفكان مدبرًا عن السماء فأقبل إليها؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال فعل، ولكنه إقبال تدبير، قيل له: فكذلك فقل علا عليها علو ملك وسلطان، لا علو انتقال وزوال ".

ينص كلام ابن جرير على أمور:

(١) أنه قال ذلك على وجه الإلزام، يلزم بعض من أوَّل الاستواء في الآية بالإقبال بلوازم لا مفر له منها، وذكر أن ما هرب منه وقع فيه، وإلزام الخصم في المناظرة لون، وتقرير عقيدة المناظر لون آخر، لأن المناظر قد يحتاج إلى بعض الأصول التي يعتقدها الخصم، لتكون الحجة عليه أقوى، ولا يلزم من هذا أن المناظر يعتقد تلك العقيدة، ألا ترى أن إبراهيم قال في محاجه على قومه: ﴿هَٰذَا رَبِّي﴾ أي بزعمكم.

(٢) ومن الجدير بالذكر أن يعلم أن ابن جرير يخاطب الخصم في قوله: " فكذلك فقل " والأمر في هذا واضح .

وأخيرًا: عقيدة ابن جرير في العلو خاصة، وفي الأسماء والصفات عامة مشهورة، وقد سبق أن ذكرنا طرفا منها .

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره عند تفسير سورة الحديد تحت قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: ٤] يقول تعالى ذكره هو الذي أنشأ السموات السبع والأرضين، فدبرهن وما فيهن ثم

استوى على عرشه، فارتفع عليه وعلا. وقال تحت قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يقول وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ".

هذه عقيدة الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى في العلو أما هذا المعترض فصور عقيدة الإمام على غير ما ذكره في تصانيفه.

عقيدة علو الله على عرشه دون تقييد بملك أو قهر أثبتها الأكابر من العلماء، ونقلوا الإجماع على ذلك، ونكتفي منهم بهؤلاء:

(١) قال الإمام إسحاق بن راهويه: " قال الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] **إجماع أهل السنة** أنه فوق العرش استوى، ويعلم كل شيء، أسفل الأرض السابعة، وفي قعور البحار، وبطون الأودية، وفي كل موضع كما يعلم في السموات السبع، وما دون العرش، وأحاط بكل شيء، ولا تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات البر والبحر إلا وقد عرف ذلك كله وأحصاه، لا يعجزه معرفة شيء عن معرفة غيره " رواه الخلال في السنة.

(٢) وقال قتيبة شيخ البخاري ومسلم: " **هذا قول الأئمة في الإسلام والسنة والجماعة** نعرف ربنا سبحانه بأنه في السماء السابعة على عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كذا نقل أبو العباس بن سريج .

(٣) وقال ابن عبدالبر في كتابه التمهيد[١] تحت شرح حديث النزول:

---

(١) كتاب التمهيد لابن عبدالبر (٧/ ١٢٨ - ١٣٩) تحت شرح حديث النزول.

"وفيه دليل على أن الله جل وعلا في السماء على العرش من فوق سبع سموات، كما **قالت الجماعة**، وهو حجتهم على المعتزلة والجهمية في قولهم: إن الله في كل مكان".

(٤) وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي[١]: " **وقد اتفقت الكلمة من المسلمين** أن الله تعالى فوق عرشه فوق سمواته " .

(٥) وقال يحيى بن سعيد الأموي في مغازيه بسنده عن عدي بن عميرة: خرجت مهاجرا إلى النبي ﷺ فذكر قصة طويلة قال فيها: فإذا هو ومن معه يسجدون على وجوههم، ويزعمون أن إلٰههم في السماء فأسلمت وتبعته. ذكره ابن قدامة في صفة العلو، وابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلاميه ص (١٢٧) .

هذه النقولات غيض من فيض فيما ورد من الإجماعات على أن الله عال على خلقه علوا مطلقا، فأين تذهبون من هذه الاتفاقات معشر الأشعرية المتأخرة؟.

ثم ذكر الكاتب بعض الآيات والأحاديث مستدلا بها في نفي المكان والجهة عن الله تعالى.

أقول: لفظ المكان والجهة في هذه المسائل التي نحن بصددها لم يرد في كتاب ولاسنة لا إثباتا ولانفيا، ونحن نتبع في مثل هذه المسائل وغيرها الكتاب والسنة، ونفهمهما كما فهمه السلف من الصحابة والتابعين. تركُ

(١) نقض الإمام أبي سعيد على بشر المريسي (١/ ٣٤٠).

السلفِ عن هذه الألفاظ نفيا وإثباتا ينبئ على أنها من الفضول في الكلام؛ لأن القوم عن علم كفوا.

أما من يجعل نفي هذه الألفاظ سلمًا يترقى به إلى نفي علو الله تعالى فنستصرح منه ما الذي يعني بالمكان؟ فإن قال: أعني به أنه ليس فوق السماء إلٰه، فنقول له: أخطأت في اللفظ والمعنى، وتجهمت، وأدلة العلو ظاهرة فإنكارها بعد قيام الحجة كفر صريح لاتنطح فيه عنزان. فإن قال: أعني بالمكان أنه لاتحيطه الأمكنة فنقول له: أخطأت في اللفظ دون المعنى، وليس العلو معارضا لذلك، بل العلو المطلق معناه أنه فوق كل شيء، وليست الأمكنة ظرفا له.

قال صاحب الرسالة في ص (١٦): " فمن الأحاديث مارواه البخاري في صحيحه "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه أو إن ربه بينه وبين القبلة. . . . " قال ابن حجر في الفتح: "وفيه الرد على من زعم أنه تعالى على العرش استوى بذاته " ".

أقول: أين ما قاله السلف في الحديث، وأين ذهب عنوانك البراق أم كنت تضل به الناس، هل الحافظ ابن حجر من أئمة القرون الثلاثة، أم إنك عجزت عن إيراد نص من نصوص أئمة السلف، فإن أبيت إلا الاختلاف إلى الخلف، فهاك ما قاله بعض من تقدم على ابن حجر في الطبقة وشرح صحيح البخاري.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه فتح الباري شرح صحيح البخاري[1] عند شرحه هذا الحديث تحت باب حك البزاق باليد من المسجد: " يدل

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري عند شرحه هذا الحديث في (٢/ ٣٢٨ - ٣٣٥) ط دار ابن الجوزي تحت باب حك البزاق باليد من المسجد.

على قرب الله تعالى من المصلي في حال صلاته. وقد تكاثرت النصوص بذلك قال تعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: ١٩] وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: " **أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِن رَّبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَآء** " وخرَّج الإمام أحمد والترمذي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من حديث الحارث الأشعري عن النبي ﷺ: " **إن الله أمر يحيىٰ بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن و يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فذكر الحديث وفيه وآمركم بالصلاة فإن الله ينصب وجهه لوجه عبده ما لم يلتفت فإذا صليتم فلاتلتفتوا** "..... إلى أن قال: **ولم يكن أصحاب النبي ﷺ يفهمون من هذه النصوص غير المعنى الصحيح المراد بها، يستفيدون بذلك معرفة عظمة الله وجلاله واطلاعه على عباده وإحاطته بهم، وقربه من عابديه، وإجابته لدعائهم، فيزدادون به خشية لله وتعظيما وإجلالا ومهابة ومراقبة واستحياء، ويعبدونه كأنهم يرونه.**

ثم حدث من بعدهم من قل ورعه، وساء فهمه وقصده، وضعفت عظمة الله وهيبته في صدره، وأراد أن يرى الناس امتيازه عليهم بدقة الفهم، وقوة النظر، فزعم أن هذه النصوص تدل على أن الله بذاته في كل مكان، كما يحكى ذلك عن طوائف من الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم، تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا، وهذا شيء ما خطر لمن كان قبلهم من الصحابة والتابعين ﷺ، وهؤلاء ممن يتبع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله وقد حذر النبي ﷺ أمته منه في حديث عائشة الصحيح المتفق عليه، وتعلقوا أيضا بما فهموه بفهمهم القاصر مع قصدهم الفاسد بآيات في كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]..... ثم ذكر ما قاله

الأئمة من السلف في نصوص المعية والقرب، وأن الله عال مع قربه، والمعية الخاصة معناها النصرة والتأييد، والعامة معناها الإحاطة والعلم إلى أن قال الحافظ ابن رجب: وهذا كله يدل على أن قرب الله من خلقه شامل لهم، وقربه من أهل طاعته فيه مزيد خصوصية، كما أن معيته مع عباده عامة حتى ممن عصاه قال تعالى: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النساء: ١٠٨] ومعيته مع أهل طاعته خاصة لهم، فهو سبحانه مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. وقال لموسى وهارون: ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] وقال موسى: ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢] وقال في حق محمد وصاحبه: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ولهذا قال النبي ﷺ لأبي بكر في الغار" **مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا** " فهذه معية خاصة غير قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧] فالمعية العامة تقتضي التحذير من علمه واطلاعه وقدرته وبطشه وانتقامه، والمعية الخاصة تقتضي حسن الظن بإجابته ورضاه وحفظه وصيانته، فكذلك القرب، وليس هذا القرب كقرب الخلق المعهود منهم، كما ظنه من ظنه من أهل الضلال، وإنما هو قرب ليس يشبه قرب المخلوقين كما أنه الموصوف به ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهكذا القول في أحاديث النزول إلى سماء الدنيا فإنه من نوع قرب الرب من داعيه وسائليه ومستغفريه وقد سئل حماد بن زيد فقال: هو في مكانه يقرب من خلقه كما يشاء. ومراده أن نزوله ليس هو انتقال من مكان إلى مكان، كنزول المخلوقين. . . . . إلى أن قال: فلهذا اتفق السلف الصالح على إمرار هذه النصوص كما جاءت من غير زيادة ولانقص.

وما أشكل فهمه منها وقصر العقل عن إدراكه وكل إلى عالمه"[١] انتهى كلامه.

سقت هذا الكلام من هذا الإمام لأنه شرح الحديث بالنصوص وأقوال السلف، ولخص من ذلك أن ما ذكر في الحديث إنما هو قرب خاص يقرب الله لعبده، وهذا لا ينافي علوه فهو عال على العرش، يقرب من خلقه كيف شاء، كما قاله حماد بن زيد ولا تعارض في النصوص ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، أما الجهمية فاتبعوا ما تشابه، فعارضوا نصوص العلو بنصوص القرب والجمع مقدم على غيره إن قدر أن ثم تعارضا هذا من جهة النقل، أما من جهة العقل فإنك ترى القمر أمامك وفوقك، وهي آية من آيات الله الكونية المخلوقة فكيف ببارئها ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [النمل: ٨٠] و[الروم: ٥٢].

أما ما يتعلق بما ذكره الحافظ ابن حجر في شرح الحديث فنقول: هو من العلماء الذين نهاب منهم إلا أن الحق أكثر هيبةً عندنا منه، وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا النبي ﷺ، وكم رُدّت أقوال من أهل العلم حينما خالفت الحق. قال عمران بن حصين "تمتّعنا في وقت النبي ﷺ ونزل القرآن على ذلك، ولم ينسخ، ثم قال رجل برأيه ما شاء ". رواه البخاري في كتاب الحج من صحيحه. قيل: إنه عنى به عمر. والمعصوم هو النبي ﷺ، لكن الفرق بيننا وبين المقلدة والجفاة أن الأولى قدّست الرجال، وانطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾ [التوبة: ٣١] والطائفة الثانية بدّعت وكفّرت العلماء في اجتهاداتهم إذا أخطئوا، أما أهل

(١) فتح الباري لابن رجب ٣/ ١١٣- ١١٧.

السنة فقد وفقهم الله تعالى إلى الطريق الوسط، فلم يأخذوا الخطأ من أحد كائنًا من كان، ورفعوا اللائمة عنهم، ولو لا خشية الإطالة لاستقصيت أقوال الأئمة في ذلك، ولكن من أراد الوقوف على ذلك فليطالع خطبة الكتاب المؤمل لأبي شامة المقدسي الشافعي، ورفع الملام عن أئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وأختم الكلام في هذه الفقرة بما قاله ابن الجوزي في كتابه صيد الخاطر[١]: " واعلم أن المحقق لا يهوله اسم معظم، كما قال رجل لعلي بن أبي طالب - ﷺ -: أتظن أن طلحة والزبير كانا على الباطل فقال له: " **إن الحق لا يعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله** ". ولعمري إنه قد وقر في النفوس تعظيم أقوام فإذا نقل عنهم شيء فسمعه جاهل بالشرع قَبِلَه لتعظيمهم في نفسه".

وبمثل هذا تنتشر أخطاء كثيرة وعلى ذلك أشار معاذ بن جبل فيما رواه أبو داود في كتاب السنة من سننه " **اتق زيغة الحكيم** ". ونحن نعذر كل عالم كامل الآلة في أخطائه الاجتهادية سواء كانت المسألة اعتقادية، أو عملية إلا أننا إذا اختلف العلماء نختار أقربهم إلى الدليل، ونأخذ من الفهم أقربه إلى فهم السلف الصالح.

قال في ص (١٦): " ومنها ما رواه مسلم في صحيحه «اللَّهُمَّ أَنتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوقَكَ شَيءٌ وَأَنتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيءٌ» قال الحافظ البيهقي في الأسماء والصفات[٢]: " استدل بعض أصحابنا بهذا الحديث

(١) صيد الخاطر ص (٦٨) ط دار ابن خزيمة.
(٢) الأسماء والصفات ص (٤٠٩).

على نفي المكان عن الله تعالى فإذا لم يكن فوقه شيء ولا دونه شيء لم يكن في مكان ".

أقول: هذه حيدة عن أقوال السلف في المسألة، أين ذهب العنوان "**الاستواء وما قاله السلف**" هل ظننت أن القرَّاء لا يُفرِّقون بين أئمة القرون الثلاثة ومن بعدهم، فاجترأت على نُقول الخلف تحت هذا العنوان، ثم من هم هؤلاء الأصحاب الذين استدلوا بهذا الحديث على ما ذكره البيهقي رَحِمَهُ اللَّهُ، هل هم ابن فورك والباقلاني وغيرهما من المتكلمين؟ ولا ينبغي في المناظرة أن تحتج بكلام الخصماء على خصمائهم، لكني ولله الحمد وفقّني الله تعالى إلى الوقوف على ما قاله أئمة السلف في هذه الآية.

قال الإمام ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره تحت قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣] قال: "والظاهر يقول وهو الظاهر على كل شيء دونه، وهو العالي فوق كل شيء فلا شيء أعلى منه، والباطن يقول وهو الباطن جميع الأشياء فلا شيء أقرب إلى شيء منه كما قال: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] " انتهى كلامه.

وقال في سورة قَ تحت قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]: وقد اختلف أهل العربية في معنى قوله: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] فقال بعضهم: معناه نحن أملك به، وأقرب إليه في القدرة عليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] بالعلم بما توسوس به نفسه.

هذا تفسير الطبري للآية، فسّر الظهور بالعلو المطلق وفسّر الباطن بالقريب، ثم فسّر القرب بآية ق، ثم نقلت تفسيره للقرب بأنه العلم والقدرة، وقد سبق أن ذكرنا معنى القرب من السلف الصالح.

ويستحسن أن يضاف ما تقرر إلى ما ذكره الإمام ابن جرير رحمه الله تحت قول الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: ٤] قال: " يقول تعالى: هو الذي أنشأ السموات السبع والأرضين فدبّرهنّ وما فيهنّ ثم استوى على عرشه فارتفع عليه وعلا. ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يقول: وهو شاهد لكم أيها الناس أينما كنتم يعلمكم ويعلم أعمالكم ومتقلبكم ومثواكم، وهو على عرشه فوق سمواته السبع ".

تنبيه: أعرضت عن ذكر حديث، قال فيه قتادة: ذُكر لنا «أن النبي ﷺ.... قال: والذي نفسي بيده لو دلّي أحدكم بحبل إلى الأرض الأخرى لهبط على الله» ثم قرأ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد: ٣] تركته لأنه مرسل. ولو فرضنا صحته فهو كما فسره الترمذي: «لهبط على علم الله» انظر سنن الترمذي كتاب التفسير تحت هذه الآية.

ثم ليفهم القارئ اللبيب أن وصف الله تعالى بالعلو المطلق لا يتعارض مع قربه، إذ الله تعالى عال فوق خلقه، ومع ذلك قريب في العلم والقدرة، ويقرب كيف يشاء، ولا نعلم أحدا من السلف قال: إن العلو معناه العلم أو القدرة والقهر فقط.

ثم نقل في ص (١٧) عن ابن حجر قوله: " لأن وصفه بالعلو من جهة المعنى والمستحيل كون ذلك من جهة الحسّ.

أقول: إن معنى هذا الكلام أن المعنى هو الذي استوى، وهو العالي دون ذات الله تعالى، والمطلوب إظهار من تكلم بهذا من السلف، ومحور كلامنا يدور على السلف، لا الخلف كما أبدى المؤلف في عنوانه، وإن أبيت إلّا الخلف نوقفك على كلام من كان قبل ابن حجر بمدد، ويصف العلو بعلو الذات، وهو الإمام يحيى بن أبي الخير العمراني الشافعي في كتابه الانتصار تحت باب الاستواء، تلك تقابل بهذه، والمعتمد فهم السلف الصالح، وأهل السنة لا يهوّلون بالأسماء المعظمة، فللأئمة سابقتهم في العلم وهيبتهم في النفوس.

أما قولك: " **فهذان إمامان حافظان جبلان جليلان لا يشك في صلابتهما في الدين إلا مبتدع خبيث النيّة...** " لا محل له من البحث عن ما نحن فيه، والخطأ جائز على هذين الإمامين، ونحن نقبل منهم الحق الذي وافقوا عليه من قبلهم من أئمة السلف، ونتبرأ إلى الله مما قالوه مخالفين للسلف الصالح، ونعذر لهم، فإذا كان هذان الإمامان جبلين، ولا شك أنهما كذلك، فالجبال في السلف أكثر، لكن لسان حال هذا الرجل يقول: إن وافقت أهوائي زلات العلماء أعطرهم بالثناء الجميل، وإن كانت لا تتماشى مع هؤلاء الأئمة فلا شأن لي في ذكرهم وتفخيم أسمائهم.

ثم قال في ص (١٩): " **وأين هم من أقوال السلف الصالح الذين ينفون عن الله الجهة ففي الطحاوية «ولا تحويه الجهات الست».**

أقول: كلام الطحاوي مستقيم، ولا يعارض أن الله فوق عرشه عال على خلقه غير مختلط بهم، لأن كلامه نصّ على أن الجهات لا تحيط بالله، ونحن نلتقي مع الطحاوي في هذه النقطة، ونقول: إنه فوق الجهات كلها.

فافهم هذا. ولوائح الهوى ظاهرة من كلام هذا المغرور؛ إذ يردد هذه النقطة في الطحاوية، ولا يذكر قول الطحاوي بعد سطور «**وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه**». ولم يقيد الطحاوي الفوقية بفوقية الشرف كما تزعمه الأشعرية.

ثم إن لفظة الجهة والجسم في صفات الله محدثة، لم يأت بها قرآن ولا سنة، نفيا ولا إثباتا، فنحن لم نتعرض لها ولا نتعرض لأمثالها، يكفينا ما كفى السلف؛ إذ ليس لنا حاجة في هذه الكلمات. ويحسن بهذا الملبّس أن يبين للناس عقيدته المنحرفة التي توحي بأن وصف الله تعالى بالعلو وغيره سواء.

ثم إن كلام العلماء يستدل له، ولا يستدل به، وقد رأيتَ إجماع أهل العلم على أن الله فوق عرشه، عال على خلقه، ولم نجد قولا من السلف في وصف الله تعالى بأنه في الأرض.

ثم استدل معارضا العلو المطلق بقول الله تعالى: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: ٨٤].

ثم قال في ص (١٩): " هل ذهب موسى عليه الصلاة والسلام إلى جهة السماء ".

أقول: إن دل هذا على شيء فإنما يدل على مبلغ بعد هذا الإنسان عن فهم معاني القرآن. واعلم أيها القارئ أن من أقوى التفاسير تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن يدل على أن موسى عليه السلام إنما عجل لميقات ربه، فوقّت ربه له في طور سيناء واختار موسى عليه السلام قومه سبعين رجلا من عرفاء قومه قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣] وقال تعالى:

﴿وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ [الأعراف: ١٥٥].

فجاء موسى عليه السلام قبلهم إرضاء ومحبة لربه، فأي تعارض بين علو الله على خلقه، وبين مجيء موسى للميقات المكاني الذي وقَّته الله له، وأين هذا من الكلمة الطيبة التي تصعد إلى الله تعالى لقبولها لأنه هو الذي يقبل الأعمال الصالحات. ﴿ٱلَّذِينَ يَسۡتَحِبُّونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا عَلَى ٱلۡأٓخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجًا أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٣﴾ [إبراهيم: ٣].

واعلم أيها القارئ أن الله تعالى موصوف بالعلو الذي لايفارقه أبدا فهو عال على عرشه يقرب من خلقه كيف يشاء، قال الإمام البخاري رحمه الله في كتابه خلق أفعال العباد[1]: " وقال ابن عباس رضي الله عنهما: " **لما كلم الله موسى كان النداء في السماء، وكان الله في السماء** ".

هؤلاء أئمة الدين الذين لهم لسان صدق في الآخرين، لا يعارضون نصوص العلو بنصوص مجيء موسى عليه السلام لميقات ربه تبارك وتعالى كما يفعل هذا المتعالم.

ثم ذكر آيات ليس لها مجال في باب الأسماء والصفات لا من قريب ولا من بعيد، قال: " قال تعالى: ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٠٠] ".

أقول: معنى الآية واضح فيما نزلت فيه، وفيمن وردت فيه، وهي في الهجرة إلى الرسول ﷺ. ولم يستدل أحد من السلف فيما نعلم، ولا من العقلاء بهذه الآية على أن الله موجود في كل مكان إلا الجهمية الذين

(١) خلق أفعال العباد ص (١٩).

أخذوا عن مشارب كدرة، وإن كان لديه علم في هذا فليبين للناس نقلا صحيحا في تفسير الآية يتفق مرامه وهواه، ومعلوم أن الدين دين اتباع، ألا فليتق الله امرؤ في تفسير القرآن برأيه دون الرجوع إلي تفاسير السلف، ثم الأدهى والأمرُّ من ذلك أن يُدّعى التعارض في القرآن استنادا إلى هذه الآراء الكاسدة الباردة المعزولة عن الإسناد. ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

ثم كشف عن مبلغ تخبطه وأحرى أن يسجل لمن ليس له ضوابط تخبطات. فقال في ص (٢٠): " **فإن قالوا: نؤول بما يناسب مع عقيدتنا من علمه تعالى وقدرته ورضاه فنقول لهم: ألستم الذين يعتقدون أن التأويل بدعة وضلالة أتحلونه عاما وتحرمونه عاما كدأب الجاهلية الأولى فيا أيتها المبتدعة تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن نفتح باب التأويل كله أو نقتصر على ما أوله السلف ونسكت عما عداه** ".

أقول: نحمد الله تعالى بأن لم يجعلنا جرآء على كتابه العزيز، وقد تكلمت في معنى التأويل، وأن منه صحيحا وفاسدا، وقد بينا بطلان ما نقله عن السلف، وأن السلف برءاء من ذلك براءة الذئب من دم ابن يعقوب، لكن بينما كان يدندن هذا الإنسان في التأويل، فإذا هو يترقى الآن إلى نوع من ضرب القرآن بعضه ببعض، وهذا ليس بتأويل باتفاق العقلاء فضلا عن المؤمنين.

والسؤال الموضوع في هذا الباب أن يبين لنا هذا المتجرئ المتشدق ضابط التأويل، وما يجوز تأويله وما لايجوز وهيهات أن يضع ضابطا، لأن

هذا أعجز قدماءهم.

وقد سبق أن بينا قبل أن الأصل هو الجري على الظاهر والحقيقة، لا التأويل والمجاز. ومن كابر على هذا فقد كابر على أئمة الإسلام.

كناطح صخرة يوما ليوهنها فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

قال الإمام الشافعي: " والحديث على ظاهره، وإذا احتمل الحديث معاني فما أشبه ظاهره " .**أخرجه ابن أبي حاتم في آداب الشافعي، والذهبي في سير أعلام النبلاء**(١).

نحن نعتمد على هذه القواعد السلفية، لا هذيانات أهل الأهواء من فتح باب التأويل تارة، وإغلاقه تارة أخرى، حيث اعتقدوا أولًا، ثم هرعوا إلى النصوص، فنظروها نظر غير محتاج إليها، وأنها تابعة لا متبوعة. قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

ثم سود رسالته بنقولات أخرى عن الخلف تكثرا فذكر ما نقل الكوثري عن أبي بكر بن العربي في معنى أحاديث الصفات، ولقب الكوثري بالعلامة.

هذا لا يهمني كثيرا، لأن نقطة البحث كانت تدور في عقيدة السلف، وأبو بكر بن العربي ليس من السلف، وقبله، وبعده، وفي زمنه أئمة لا يوافقونه في ما قرره، وليس هو بالأولى منهم والمفزع عند النزاع إلى الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، والنظر في ضوابطهم وقواعدهم.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢١) ط مؤسسة الرسالة.

أما الكوثري فهو الكوثري ومن شاء الوقوف على أحواله، فليطالع كتاب شيخ الإسلام ذهبي عصره العلامة عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني فقد كشف عواره.

ومن جعل الغراب له دليلا يمرَّ به على جيف الكلاب

وكفى بهذا الكاتب فسادا في العقيدة التي يدعو الناس إليها أن ينقل عن أمثال الكوثري الذي لم يسلم منه أئمة الهدى وفي مقدمتهم أصحاب رسول الله ﷺ ورضي الله عنهم، وأن يلقّبه بالعلامة، وقديما قيل: **والطيور بأشكالها تطير.**

ثم عنون قائلا: رد الافتراء على بعض الأئمة من سلف هذه الأمة فقال في ص (٢٢): " فمن العلماء الذين افتروا عليه، الإمام الجليل أبوحنيفة فذكروا أنه قال: من قال: لا أعرف ربي في السماء أم في الأرض فقد كفر لأن الله يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وعرشه فوق سبع سموات والجواب أن هذا الكلام افتراء وبهتان على هذا الإمام لأن راويه عنه الحكم بن عبدالله أبومطيع البلخي وهو رجل جهمي ضعيف.... ". ثم نقل عن ما قاله الإمام الذهبي فيه في كتابه ميزان الاعتدال.

أقول: كلام أبي حنيفة المنقول عنه في الفقه الأكبر راويه أبو مطيع البلخي وهو ضعيف، بعد معرفة هذا يكون الرد عليه من وجوه:

الوجه الأول: الناقلون عن أبي حنيفة في مقالته السابقة ليسوا محصورين بمن يسمي هذا الإنسان مبتدعة على زعمه، بل شرح هذا الكتاب أبو منصور الماتريدي الذي تعتقده الأشعرية أنه من أئمة أهل السنة، فهل

أصبح من المفترين؟!، ونقل الحافظ البيهقي في كتابه الأسماء والصفات[١] عن أبي حنيفة نفس الحكاية في العلو فهل تضمه في قائمة المفترين؟! ولا أبعد النجعة ها هو يتناقض صاحب الرسالة قال في ص (٢٣): " **مع أنه ثبت عن الإمام أبي حنيفة أنه تعرض لنفي المكان عن الله تعالى قال ملّا علي القاري في شرح الفقه الأكبر**[٢]: " ها أنت تستشهد بكتاب هو شرح للفقه الأكبر، فهل صار كتاب " **الفقه الأكبر** " صحيح النسبة إلى أبي حنيفة حيث يؤيد الآن مقصودك، أم أنت في قائمة المفترين على العلماء، ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ [المطففين: ١ - ٦]، وهل ملّا علي القاري ممن افترى على أبي حنيفة؟ وانظر أيها القارئ إلى كشف الظنون لحاجي خليفة القسطنطيني تجد كثرة شرّاح الفقه الأكبر.

الوجه الثاني: أنه إذا ذكر السند فقد برئت العهدة عن الناقل، لأن من أسند فقد أحالك، وكل من ابن تيمية وابن القيم وغيرهما ذكر أن الراوي عن أبي حنيفة هو أبو مطيع البلخي، إذًا فقد برئت عهدتهم.

الوجه الثالث: أن مجرد نقل كلام في سنده كذّاب أو متهم مع ذكر السند لا يعده افتراءً إلا من قلّ حظه من علم الحديث الشريف، فهذا الإمام الترمذي وابن ماجه أخرجا لمحمد بن سعيد المصلوب الكذّاب الذي وضع أربعة آلاف حديث كما قاله أحمد بن صالح المصري، أفيجوز أن يقال: إنهما من المفترين؟ هكذا يفضح الله من حاد عن الحق، وافترى على أنصار

(١) الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٨).
(٢) شرح الفقه الأكبر ص (١٧١).

السنة المحمدية.

ثم قال صاحب الرسالة في ص (٢٤): " ومن الأئمة الذين افتروا عليهم الإمام الشافعي نقلوا عنه أنه قال:

" القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء ". قال: هذه العقيدة مدسوسة على الإمام كما ذكر ذلك الذهبي في الميزان[1] في ترجمة محمد بن علي بن أبي طالب العشاري قال الذهبي: أدخلوا عليه أشياء فحدث بها بسلامة الباطن، منها حديث موضوع في فضل ليلة عاشوراء، ومنها عقيدة للشافعي ".

الجواب عن هذا من وجوه:

الوجه الأول: قال الذهبي في الميزان: " ومنها عقيدة للشافعي " فكيف عرفت أيها الرجل أن العقيدة التي في سندها هذا الرجل هي المنقولة عن الشافعي في العلو، بل الذهبي نفسه نقل نحو هذا القول عن الشافعي في كتابه العلو للعلي العظيم وذكر أيضا في رسالته المسماة " الأربعون في صفات رب العالمين "

والوجه الثاني: هو ما مر بنا من أن هذا لا يقال: إنه افتراء؛ إذ الرواية عن الضعفاء والمغفلين مع ذكر أسماءهم لا تعد افتراء، وإلا اعتدينا على الأئمة الكبار.

---

(١) الميزان (٣/٦٥٦).

والوجه الثالث: أن يقال: إن هذا الكلام المنقول عن الشافعي كلام مستقيم يقوله الأئمة؛ إذ كل ما فيه أنه قال: " وإن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [الملك: ١٦] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] هل هذا الكلام فيه محادة لله ورسوله، ما هذه الدعوة من هذا المفتري إلا دعوة إلى دين الجهمية، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

الوجه الرابع: قال الحافظ الذهبي رحمه الله في كتابه العرش[1]: **" وروى الحافظ عبدالغني المقدسي وشيخ الإسلام أبو الحسن الهكاري رحمهما الله وغيرهما، في جمعهم عقيدة الشافعي بأسانيدهم إلى أبي ثور وأبي شعيب، كلاهما عن الإمام أبي عبدالله الشافعي رحمه الله قال: " القول في السنة التي أنا عليها، [و] رأيت أهل الحديث عليها، الذين رأيتهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله - وذكر أشياء - ثم قال: " وأن الله على عرشه في سمائه، يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء ". وهكذا ذكره في كتابه المسمى بـ الأربعين في صفات رب العالمين، وكتابه سير أعلام النبلاء.**

هل تكتب الذهبي الذي استدللت بكلامه في قائمة المفترين بقلمك الجائر، ولا يستبعد ذلك حيث أعطى هذا الرجل زمامه الكوثري، وهذا الأسلوب من بضاعته كما مرّ.

---

(١) العرش (٢/ ٢٢٦) ط. دار أضواء السلف.

ثم عنون المؤلف قائلا: " **عرض ما في كتبهم من الآراء والأهواء المضادة للكتاب والسنة ومذهب السلف الصالح**

أقول: إذا لاحظت نقولات هذا الرجل عن السلف رأيت أنه يتشبع بما لم يعط.

فدع عنك الكتابة لست منها ولو سوّدت وجهك بالمدادِ

فبدأ بقوله في ص (٢٦): " **فهاك أمثلتها مفصلة أرقامها ومراجعها ففي الكتاب المسمّى " تسهيل شرح الواسطية "**[1]: " **أن الله ﷻ له وجه وله عين وله يد وله رِجل ﷻ فهناك شيء من الشبه، لكن ليس على سبيل المماثلة** ".

أقول: إن صح نقله عن الشيخ فالتشابه يقع على الاسم دون حقيقة المعنى. فالشيخ رحمه الله، نفى ما نفاه الله عن نفسه من المماثلة كما في القرآن ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وأثبت لله ما أثبته لنفسه وإن كان ذلك مشتركًا في الاسم دون الحقيقة عند الاضافة، فقال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢] وقال ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ليس السمع والبصر كالسمع والبصر وإن كان لفظهما مشتركا، لكن لا يتماثلان في الحقيقة، هذا ما أبداه الشيخ وأراد هذا الكاتب أن يصطاد منها لكن أبى الله ذلك وهاك موقف الشيخ من التشبيه والتمثيل.

قال الشيخ في شرحه على الواسطية في صدد كلامه في شرح حديث أبي داود في كتاب السنة من سننه «أن النبي ﷺ تلا قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ

(١) تسهيل شرح الواسطية للشيخ محمد بن صالح العثيمين ص (٢٥).

سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ فوضع إبهامه على أذنه اليمنى والتي تليها على عينه، قال الشيخ في ص (١٧٣): " فإن قلت: هل لي أن أفعل كما فعل الرسول ﷺ؟

فالجواب: من العلماء من قال: نعم افعل كما فعل الرسول ﷺ لست أهدى للخلق من رسول الله ﷺ ولست أشد تحرزا من أن يضاف إلى الله ما لا يليق به من الرسول ﷺ.

ومنهم من قال: لا حاجة إلى أن تفعل ما دمنا نعلم أن المقصود هو التحقيق فهذه الإشارة إذًا غير مقصودة بنفسها إنما هي مقصودة لغيرها، وحينئذ لا حاجة إلى أن تشير لاسيما إذا كان يخشى من هذه الإشارة توهم الإنسان التمثيل كما لو كان أمامك عامة من الخلق لا يفهمون الشيء على ما ينبغي فهذا ينبغي التحرز منه ولكل مقام له مقال ".

قلت: لا يستبعد من هذا الكاتب أن يطعن في أبي داود حيث أورد هذا الحديث في كتاب السنة من سننه باب في الجهمية وإن تستر فلا يتستر أساتذته كالكوثري والسّقّاف عن مثل هذا.

وقال الشيخ في ص (٢٥٥): " فإن قال قائل: أنتم تثبتون أن لله تعالى يدًا حقيقية ونحن لا نعلم من الأيدي إلا أيدي المخلوقين فيلزم من كلامكم تشبيه الخالق بالمخلوق.

فالجواب: أن تقول: لا يلزم من إثبات اليد لله أن نمثل الخالق بالمخلوقين لأن إثبات اليد جاء في القرآن والسنة وإجماع السلف ونفي مماثلة الخالق للمخلوقين يدل عليه الشرع والعقل والحسّ أما الشرع فقوله

تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وأما العقل فلا يمكن أن يماثل الخالق المخلوق في صفاته لأن هذا يعد عيبا في الخالق.

وأما الحس فكل إنسان يشاهد أيدي المخلوقات متفاوتة ومتباينة من كبير وصغير وضخم ودقيق فيلزم من تباين أيدي المخلوقين وتفاوتهم مباينة يد الله تعالى لأيدي المخلوقين وعدم مماثلته لهم من باب أولى".

وقال في ص (٨١): " يعني ومن غير تمثيل، فأهل السنة يتبرؤون من تمثيل الله ﷻ بخلقه لا في ذاته ولا في صفاته ".

هذا غيض من فيض مما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى، وفيه براءته من التشبيه، وهذا يلاحظ أيضا من كتبه وأشرطته، لكن هذا الكاتب يفتري على السلف، وعلى العلماء، مالك وحماد بن زيد وغيرهم، فلا غرو أن يفتري على الشيخ.

ثم عاد المتعالم إلى مسألة التفويض، وجعله عقيدة للسلف الصالح، وقد فصلت القول فيما لها وما عليها. وهل شمّ رائحة التوحيد من يقول: إن ثلث القرآن يُجهل معناه؟ كيف يدّعى التفويض المطلق خصوصا في مسألة العلو التي سأل النبي ﷺ عنها الجارية فقال " أين الله؟ " فقالت: في السماء قال: من أنا؟ قالت: أنت رسول الله قال: أعتقها فإنها مؤمنة. أين التفويض في هذا أيها المتحيِّر؟.

ثم إن النبي ﷺ كان يشير إلى الله بأصبعه إشارة حسِّية ويقول: اللهم اشهد.

ثم قال المعترض في ص (٢٨) ناقلا عن الشيخ ابن عثيمين: "**إن الطوائف من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة ينكرون رؤية الله تعالى يوم القيامة**".

أقول: إن هذا ليس افتراء أيها الرجل، بل ما تدّعيه من أن الأشعرية تثبت رؤية الله، إنما هو خلف في الكلام، كما تخبطوا في مسألة كلام الله تعالى، حيث أثبتوا كلاما نفسيا، وقالوا: إن القرآن عبارة عن كلام الله، واستدلوا ببيت الأخطل النصراني:

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جعل اللسان عليه دليلا

كما أثبتوا كلاما عاريا عن الصوت والحرف. أفبعد هذا يقال: إن الأشعرية تثبت لله صفة الكلام؟ فكذلك لعبوا بمسألة رؤية الله في الجنة، واعتقدوا أن الله يُرى لا من فوق ولا من تحت، ولا يمين ولا شمال، ولا أمام ولا خلف، فأي رؤية أثبتوا إذا ؟ لذلك ضحك ذكورهم المعتزلة حينما قالت الأشعرية: لا نثبت العلو لله ونثبت الرؤية.

وقال النبي ﷺ: " **إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر** " فالتشبيه يقع في الرؤية، لا في المرئي، فالعقيدة الصحيحة في المسألة هي أن الله تعالى يُرى في الجنة وهو عال على خلقه. أما الإحاطة فلا يُحاط بالله تعالى، ويعتقد أهل السنة الرؤية بلا كيفية كما في الطحاوية.

ومن العلماء الذين ذكروا أن الأشعرية لا يعتقدون رؤية الله تعالى في الجنة الإمام الفقيه يحيى بن أبي الخير العمراني شيخ الشافعية في اليمن صرح ذلك في كتابه الانتصار، وهل هو من قائمة المفترين في نظرك أيها المفتري؟!.

ثم قال في ص (٢٩): " وقال ابن تيمية في كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول[١] بعد أن ذكر قول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]: فهذا كله وما أشبهه شواهد ودلائل على الحدّ ومن لم يعترف به فقد كفر بتنزيل الله تعالى وجحد آيات الله اهـ. وقال في الجزء الثاني قال عثمان بن سعيد وغيره ": إن الحركة من لوازم الحياة فكل حي متحرك وجعلوا نفي هذا من أقوال الجهمية نفاة الصفات الذين اتفق السلف والأئمة على تضليلهم وتبديعهم " اهـ.

أقول: صدق رسول الله ﷺ في قوله: " إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت ". والحساب غدًا بين يدي الله تعالى ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فَقَدَ هذا الكاتب الحياء، فطعن في أئمة السنة ورماهم بالإفتراء، ثم يفتري افتراءً أصلع على خصمائه حتى الذين قد أفضوا إلى ما قدّموا، فافترى هنا على شيخ الإسلام ابن تيمية فإن المقالة الأولى التي نقلها هي قول عثمان بن سعيد الدارمي في كتابه نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد ومن أراد الوقوف فليقف على المقالة في كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول[٢]، أو المسماة بـ درء تعارض العقل والنقل والكلام في كتاب عثمان بن سعيد الدارمي المذكور تحت باب الحد

(١) موافقة صريح المعقول لصريح المنقول (٢/ ٢٩).

(٢) موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول (٢/ ٥٨) أو المسماة بـ درء تعارض العقل والنقل ط. مكتبة دار زمزم تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم.

والعرش، لا شأن لابن تيمية لهذه المقالة. أما ما يتعلق بذكر الحد:

فأقول: من السلف من أثبت لله حدًا لا يعلمه ولا يدركه البشر، من هؤلاء الأئمة عبدالله بن المبارك، والإمام أحمد، وعثمان بن سعيد الدارمي.

قال أبوبكر الخلال في السنة: حدثنا أبوبكر المروذي قال: سمعت أبا عبدالله لما قيل له: روى علي بن الحسن بن شقيق عن ابن المبارك أنه قيل له: كيف تعرف الله ﷻ؟ قال: على العرش بحد قال: قد بلغني ذلك عنه وأعجبه ثم قال أبو عبدالله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. ثم قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

وقال الخلال: وأنبأنا محمد بن علي الورّاق حدثنا أبوبكر الأثرم حدثني محمد بن إبراهيم القيسي قال: قلت لأحمد بن حنبل: يحكى عن ابن المبارك وقيل له: كيف نعرف ربنا؟ قال: في السماء السابعة على عرشه بحد **فقال أحمد: هكذا عندنا.**

قال: وأخبرني حرب بن إسماعيل قال: قلت لإسحاق يعني ابن راهويه هو على العرش بحد؟ قال: نعم بحد.

وقال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي في النقض: " **والله تعالى له حدّ لا يعلمه أحد غيره**، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه، ولكن نؤمن بالحد، ونكل علم ذلك الى الله ".

ومن السلف أيضا من ترك هذه اللفظة، وأطلق لله العلو والفوقية المطلقة على العرش، لعدم ورودها، وهذا أحوط من إطلاق ألفاظ مجملة فيها حق وباطل، كما أن من السلف من توقف عنها، فمن أنكرها إنما أنكر

الحد الذي يعلمه البشر، فعقيدتهم في العلو واحدة، وقد بينا ذلك أتم بيان.

وشيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ ممن يميل إلى ترك إطلاق الألفاظ المجملة، وخذ نموذجا من مناظرته مع المخالفين بالعقيدة الواسطية كما سبق أن ذكرنا ذلك.

أما لفظ " **الحركة** " فإطلاقها يجتنب، ولا يُذهب في الصفات إلى اللوازم، فلا نقول: إن لازم النزول الحركة، فلا نتعرض لها نفيا ولا إثباتا، والذي جرّ بعض السلف إلى إطلاقها هو إنكار الجهمية النزول والمجيء بحجة نفي الحركة، فأطلق بعض السلف مفرّقا بين الحي والميت بالحركة. ويعني بذلك إثبات النزول والمجيء ومن هؤلاء الأئمة عثمان بن سعيد الدارمي. ولا يلزم من هذا أنهم مشبهة، بل خصماؤهم الجهمية أولى بالتشبيه منهم، لنفيهم الحركة فشبّهوه بالجمادات التي لا تتحرك، ولم يطعن أحد من أئمة السلف فيما نعلم عقيدة الدارمي.

أما نحن فنقول: إن الفرق بين الحي والميت هو الفعل، فالله يفعل، واستوى على عرشه، وينزل، ويجيء، ويأتي، ويضحك، ويحب، ويكره، ويغضب، ويرضى إذا شاء وكيف شاء. والجمادات ليس لها فعل. فمن نفى الله تعالى عن الصفات الفعلية فقد شبَّه الله تعالى بالجمادات. **قال الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد**[1] **قال نعيم بن حماد الخزاعي: " إن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل** " واستحسن ذلك البخاري من شيخه نعيم ابن حماد، وأثنى عليه، وعلى ذلك مشى إمام الأئمة ابن خزيمة ﷺ.

---

(١) خلق أفعال العباد ص (٧١) طبعة مؤسسة الرسالة.

وفي الختام مانقل صاحب الرسالة عن ابن تيمية ليس من كلامه إنما هو نقل محض صريح ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ .

قال صاحب الرسالة في ص (٣١): " وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الفتح[١] عند شرحه حديث كان الله ولاشيء معه وهو أصرح في الرد على من أثبت حوادث لا أول لها وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية... ".

ثم ذكر صاحب الرسالة مسألة فناء النار وقول ابن تيمية فيها.

أما قول الحافظ ابن حجر: وهي من مستشنع المسائل المنسوبة لابن تيمية.

فأقول: قبل الخوض في المسألة نقول:

الردّ على شيء فرع عن إدراكه وتصوره والاطلاع على غور المسألة ومدى اختلاف الناس فيها.

إذا عرف هذا فالذي قرّر عليه ابن تيمية في كتبه مما يتعلق بهذه المسألة هو أن الله لم يزل فاعلاً خالقًا.

قال في كتابه منهاج السنة النبوية ١/ ١٤٧: "وأما تسلسل الحوادث في الماضي ففيه أيضًا قولان لأهل الاسلام: لأهل الحديث والكلام وغيرهم.

فمن يقول: إنه تعالى لم يزل متكلما إذا شاء ولم يزل فعالاً إذا شاء أفعالاً تقوم بنفسه - بقدرته ومشيئته - شيئًا بعد شيء يقول: إنه لم يزل يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته شيئًا بعد شيء مع قوله: إن كل ما سوى الله

---

(١) الفتح (١٣/ ٤١٠).

محدث مخلوق كائن بعد أن لم يكن، وإنه ليس في العالم شيء قديم مساوق لله كما تقوله الفلاسفة القائلون بقدم الأفلاك وأنها مساوقة لله في وجوده فإن هذا ليس من أقوال المسلمين" اهـ.

والأمر الآخر الذي ينبغي التفطن له. والذي قرّر عليه شيخ الاسلام ابن تيمية ﷺ هو أن الفعل غير المفعول، والخلقَ غير المخلوق وعلى هذا فليس مخلوق ولا مفعول مقترنًا بوجود الله تعالى خلافًا لأقوال الفلاسفة الدهرية. أما أهل الكلام من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم فإنهم نفوا الصفات الفعلية عن الله تعالى بحجة أنها حوادث والله منزّه عن حلول الحوادث ولم يهتدوا إلى التفريق بين الخلق والمخلوق.

ولا يفوتني أن أنقل هنا أقوالاً لبعض أهل العلم في المسألة تيسيرًا للفهم

قال الامام الطحاوي في عقيدته "ما زال بصفاته قديمًا قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان بصفاته أزليًا كذلك لا يزال عليها أبديًا، ليس بعد خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري".

وفرّق الامام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد بين الخلق والمخلوق والفعل والمفعول.

إذا عرفت هذا فلا شناعة على ما قرّره شيخ الاسلام ابن تيمية ﷺ في هذه المسألة، ولكن الشناعة كل الشناعة من يذهب ذهنه عند الكلام في المسألة إلى القول بقدم العالم.

ومن أراد أن ينقل المسألة إلى مسألة قدم العالم فقد أبعد النجعة، وليس بضارٍّ أحدا بتصوره الخاطئ.

أما مسألة فناء النار فلم يثبت عن ابن تيمية أنه يقول ذلك، ومن قال غير ذلك فليحلنا إلى مؤلَّف من مؤلفاته قرر فيه هذا المذهب، بل ألف رسالة في إبطال القائلين بفناء الجنة والنار. ولو قُدِّر أنه قال ذلك فقد ثبت في آخر كتبه أنه أبطلها، وقد أشار إلى هذا العلامة الألباني، لكن هذا المفتري يطلب العثرات كالذباب يطلب القروح، ويجعل حسنات أهل السنة سيئآت، إذا رد بعض أهل السنة على بعض في خطإ، والمفروض أن يعد هذا من مناقبهم وصدق من قال: **"أهل الحديث يذكرون ما لهم وما عليهم"**. **"ما من أحد إلا ردَّ ورُدَّ عليه إلا صاحب هذا القبر"** يعني النبي ﷺ، وابن تيمية أحد هؤلاء.

قال الحافظ ابن عبدالهادي في العقود الدرية[1]: عند ذكره مؤلفات ابن تيمية: " . . . **وقاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار** " وقد طبع هذه الرسالة بدار بلنسية سنة ١٤١٥هـ بتحقيق د. محمد عبدالله السمهري باسم: " الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك "، وقد ذكر هذه الرسالة جمع من العلماء منهم ابن رشيق قال: " وفي محبسه الأخير عمل قاعدة في الرد على من قال بفناء الجنة والنار في نحو عشرين ورقة ". وكذا ذكرها الصفدي أيضا.

وأختم هذه الفقرة بذكر ما فصّله ابن القيم في المسألة قال في كتابه

---

(١) العقود الدرية في ص (٧٤).

الوابل الصيب[١]: " **ولما كان الناس على ثلاث طبقات: طيب لا يشوبه خبث، وخبيث لا طيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض وهاتان الداران لا تفنيان ودار لمن معه خبث وطيب وهي الدار التي تفنى وهي دار العصاة فإنه لا يبقى في جهنم من عصاة الموحدين أحد فإنهم إذا عذبوا بقدر أعمالهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولا يبقى إلا الدار الطيب المحض ودار الخبيث المحض**" انتهى كلامه.

قلت: إذا عرفت هذا فقد وجب حمل المجمل من كلام ابن القيم على هذا المفصل الصريح. وهذا ما ثبت في كتب هذين الإمامين. وقد سبق أن أشرنا إلى أن أقوال العلماء يستدل لها، ولايستدل بها، وكل منهم يخطئ ويصيب ويحمد بما أصاب ويعذر فيما أخطأ مع العلم والورع، وابن تيمية من هؤلاء الأئمة يقبل صوابه، ويرد على خطئه بعد ثبوته مع العذر له، ولقد نقل الحافظ ابن ناصر الدين الدمشقي عن أكثر من سبعين عالما وصفوه بـ " شيخ الإسلام " والإمامة في الدين، نقل عنهم في كتابه الرد الوافر على من قال: إن من قال ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، وقرَّظ عليه الحافظ ابن حجر، وأثبت ذلك السخاوي في كتابه الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر[٢] ومن كتابه أنقل:

" **وشهرة إمامة الشيخ تقي الدين ابن تيمية أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الإسلام في عصره باق إلى الآن على الألسنة الزكية، ويستمر غدا كما**

---

(١) الوابل الصيب ص (٤٢) ط دار عالم الفوائد.

(٢) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر في (٢/ ٧٣٤) ط دار ابن حزم.

كان بالأمس (قلت وهذه من فراسة الحافظ) ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره، أو تجنب الإنصاف وما أكثر غلط من تعاطى ذلك، واكثر عثاره، فالله تعالى هو المسؤول أن يقينا شرور أنفسنا وحصائد ألسنتنا بمنه وفضله. . . . . إلى أن قال: ولقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع، وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق، ولا يحفظ عن أحد منهم أفتى بزندقته، ولاحكم بسفك دمه مع شدة المتعصبين عليه حينئذ من أهل الدولة، حتى حبس بالقاهرة، ثم بالإسكندرية. ومع ذلك فكلهم معترف بسعة علمه، وكثرة ورعه وزهده ووصفه بالسخاء والشجاعة، وغير ذلك من قيامه في نصرة الإسلام، والدعاء إلى الله تعالى في السر والعلانية فكيف لاينكر على من أطلق أنه كافر، بل من أطلق على من سماه شيخ الإسلام الكفر، وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك فإنه شيخ الإسلام في عصره بلاريب.

والمسائل التي أنكرت عليه ما كان يقولها بالتشهي، ولايصر على القول بها بعد قيام الحجة عليه عنادا، وهذه تصانيفه طافحة بالرد على من يقول بالتجسيم والتبرؤ منه، ومع ذلك فهو بشر يخطئ ويصيب، فالذي أصاب فيه - وهو الأكثر - يستفاد منه، ويترحم عليه بسببه، والذي أخطأ فيه لايقلد فيه، بل هو معذور، لأن أئمة عصره شهدوا له بأن أدوات الاجتهاد اجتمعت فيه، حتى كان أشد المتشغبين عليه القائمين في إيصال الشر إليه - وهو الشيخ كمال الدين الزملكاني - يشهد له بذلك، وكذلك الشيخ صدر الدين بن الوكيل الذي لم يثبت لمناظرته غيره.

ومن أعجب العجب أن هذا الرجل كان أعظم الناس قياما على أهل

البدع من الروافض والحلولية والإتحادية، وتصانيفه في ذلك كثيرة شهيرة، وفتاويه فيهم لا تدخل تحت الحصر، فيا قرة أعينهم إذا سمعوا تكفيره، ويا سرورهم إذا رأو من يكفره من أهل العلم.

فالواجب على من تلبس بالعلم، وكان له عقل أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة، أو من ألسنة من يوثق به من أهل النقل فيفرد من ذلك ما ينكر، فيحذر منه على قصد النصح، ويثني عليه بفضائله فيما أصاب من ذلك، كدأب غيره من العلماء الأنجاب.

ولو لم يكن للشيخ تقي الدين من المناقب إلا تلميذه الشهير الشيخ شمس الدين ابن قيم الجوزية صاحب التصانيف النافعة السائرة التي انتفع بها الموافق والمخالف، لكان غاية في الدلالة على عظيم منزلته، فكيف وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة " انتهى كلامه.

أعتذر للقراء في إطالة النقل والاستطراد، وما حملني على هذا إلا أني اضطررت إلى ذلك، وزبرته في هذه الرسالة زجرا لأمثال السّقّاف وظِلّه هذا المفتري ممن لا يستحيي من الله تعالى، ولا يتقي الله في طعن علماء الإسلام، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨]. فلا شك أيها الإنسان أنك كتبت وريقات، ودافعت عن باطل، وسعيت فيها إلى إحقاق باطل، وإبطال حق صرف، واتهمت برآء، ورميت أهل السنة والجماعة بالابتداع في الدين، وذرب لسانك عليهم وسهل عليك إلصاق الفرى بهم، ولكن الخروج من هذه الورطة شديدة، فاستعد من الآن كيف تتخلص من هذا المأزق. وقد

صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال يوم القيامة حتى يخرج مما قال**». ولعلك تعلم يقينا في قرارة نفسك أن أهل السنة يقتدون بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ويتبعون السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السلف، ولأن يخروا من السماء أحب إليهم من أن يبتدعوا في الدين، فلا يبتدعون في الدين، لا في اعتقاد، ولا في قول، ولا في فعل بعد العلم به. ولا تغتر بوطء الناس عقبك، والتفافهم حولك فإنهم لا يغنونك عن الله شيئا، ولا تغنيهم عنه شيئا وتذكّر قول بعض الصالحين: إذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ونفسك، ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك، والله يراقب باطنك. واحذر أن يتعلق بك هؤلاء يوم القيامة ويصبحوا خصماءك ويقولوا: يا رب أضلنا هذا المخلوق عن الحق، وأوقعنا في عقائد باطلة، وعبادات غير مشروعة، ونفَّرَنا عن الحق، وحذَّرَنا من أهله، فهو السبب في ضلالنا. فتب إلى الله تعالى توبة نصوحا قبل أن يُحال بينك وبينها، وتوضع في رملك وحيدًا فريدًا، فإن البدع أشد فتكا من المعاصي الشهوانية كالزنا والسرقة. فإن أبيت إلا التمادي في الباطل، والخبب في أودية الضلال، والعنق في مهاوي الردى، وركبت رأسك، وتنكرت لمذهب السلف، وأصبحت حليف الباطل، فاعلم يقينًا أنك لن تضر إلا نفسك ولن تعدو قدرك ولن تضر مذهب السلف شيئا، واستبشر من الآن بما يسوؤك من الردود العلمية، والمناقضات الأثرية.

خاتمة

وأحمد الله تعالى على إتمام الرسالة، وأود أن أعبِّر عن ما في ضميري من أن جمع هذه المادة ليس إلا النصيحة لله ولكتابه، ولرسوله، ولسائر المسلمين؛ لا تعييرا لشخص في ذاته، بل نحب الهداية للجميع، ونعوذ بالله من طغيان القلم، وأسأل كل من طالع هذه الرسالة بعين الإنصاف والعلم أن يهدي لي أخطائي فيها قاصدا النصح على ذلك، كما أسأله أن يتأنى، ويبتعد عن التعصب، وأن يتذكر كل منا قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] وقول الله تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٥]. وما كان فيها من صواب فمن الله، وما كان فيها من خطإ فمن نفسي ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تمتّ ولله الحمد
ليلة الأحد ٢١ من ذي القعدة ١٤٢٥هـ
في مدينة مقدشو سلَّمها الله تعالى.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة فضيلة الشيخ أحمد إمام	٥
مقدمة الطبعة الثانية وبعض مميزاتها	١٣
مقدمة الطبعة الأولى	١٥
جواب شبهة لأهل الكلام في تحسين مذهبهم	١٦
ذم أئمة السلف الكلام وأهله	١٧
إسناد أهل التعطيل وسلسلتُهم	١٩
مشرب صاحب الرسالة المردود عليه	١٩
طريقة الوحي في الصفات الاثبات المفصل والنفي المجمل	٢١
مذهب السلف في نصوص الصفات، وذكر حقيقة التشبيه	٢٩- ٣٠
الأشعرية هل هم أهل السنة والجماعة حقًا	٣٢
قانون الأشعرية المرجوع إليه في المتشابهات	٣٣
المسائل التي خالفت الأشعرية أهل السنة والجماعة	٣٥
أقوال الأشعرية مثبتة على أصول المعتزلة	٣٨
موافقة إمامِ الفرقَ المنحرفة في بعض المسائل لا تجعله منهم	٣٩
جهود الأئمة الشافعية في تصنيف وتثبيت العقيدة السلفية	٤٤- ٤٦
عقيدة الأشعرية مباينة للعقيدة الطحاوية والبرهان على ذلك	٤٦- ٤٩
معنى التأويل وأنواعه	٥١- ٥٤
ما على المؤول من وظائف تجاه تأويله	٥٥- ٥٦

الموضوع الصفحة

ذكره تأويلاً عن ابن جرير في قول الله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾
والجواب عليه ٥٧- ٥٩
ما ذكره عن ابن عباس من تأويل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾
والجواب عليه ٥٩- ٦٠
الجواب على تأويل ذكره عن ابن عباس في قوله تعالى:
﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيْدٍ﴾ ٦١- ٦٢
الجواب على تأويل ذكره عن الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ..٦٢- ٦٦
ما حكاه عن البخاري من أنه أول الضحك في الحديث والجواب عليه . ٦٦- ٦٨
قوله: "إن النضر بن شميل أول صفة القدم" والجواب على ذلك ٦٨- ٧٠
الجواب على تأويل حكاه عن ابن عيينة ٧٠- ٧١
حكايته عن مالك تأويل حديث النزول والردّ عليه ٧١- ٧٤
قوله: "إن الثوري أول قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ والجواب
عليه ٧٦- ٧٨
ما حكاه عن الثوري من تأويل قول الله تعالى:
﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ والجواب عليه ٧٦- ٧٨
حكى عن حماد بن زيد أنه أول النزول والجواب عليه ٧٨- ٧٩
نقله عن الامام النووي "الظاهر المتعارف في حقنا غير مراد" والمعنى
الصحيح فيه ٨٢- ٨٣
الامام الطبري وأحاديث الصفات ٨٣- ٨٥
نقض ابن تيمية قولهم: "ظواهر نصوص الصفات غير مراد" ٨٥- ٨٦
جَعْله التفويض مذهبًا للسلف والمناقشة على ذلك ٨٦- ٨٩

الموضوع	الصفحة
قوله: "الاستواء وما قال السلف عنه" والجواب عليه	٩١- ١١٢
افتراءات ذكرها عن السلفيين والجواب عليها	١١٢- ١١٩
ما قاله عن ابن تيمية في الحدّ ومناقشته في ذلك	١٢٠- ١٢٢
مسألة حوادث لا أول لها وابن تيمية	١٢٣- ١٢٥
مسألة فناء النار	١٢٥- ١٢٦
ما قاله ابن حجر في ابن تيمية من الثناء عليه	١٢٦- ١٢٨
خاتمة	١٢٨- ١٣١
فهرس الموضوعات	١٣٣